حلاوة الإيمان

عبد العاطى سليم

مكتبـة الإيمـان - المنصـورة
ت : ٢٢٥٧٨٨٢

الطبعـة الأولـى
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

المقـدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد.

فأيها القارئ الكريم: هذه بعض محاضرات ودروس ألقتها في بيوت الله عز وجل، التي أشرف بالحديث فيها إلى أبنائي وإخواني وأحبائي فى الله وفى رسول الله ﷺ أبغى من ورائها - علم الله - أداء الأمانة - أمانة العلم - الذي شرفنا الله تبارك وتعالى بحمله قياماً بحقها، وتبرؤا ممن قال الله فى حقهم**{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ}**(1).

ومن ذا الذي يصبر على نار وقودها الناس والحجارة؟ وهذه الآية الكريمة وإن كانت قد نزلت فى اليهود - أخزاهم الله - لأنهم كتموا ما جاءهم من العلم من صفات رسول الله ﷺ فإنها تشتمل إلى جوارهم كل من كتم العلم : «**ومن سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة**» وهذا أبو هريرة رضي الله عنه راوية الإسلام لأحاديث رسول الله يقول معللا كثرة رواية ما عنده العلم (لولا آية فى كتاب الله ما حدثت أحداً شيئاً)**{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالْهُدَى}**.

وإذا كان العالم العامل الذي ينشر ما عنده من العلم يستغفر لـه كل شيء حتى الحيتان فى البحر فإن كاتم العلم يلعنه الله والملائكة والناس أجمعون واللاعنون أيضا من فصيح وأعجمي بلسان الحال أو المقال، وهو عقاب ما أشده نسأل الله عز و جل السلامة والعافية، وإلى جوار هذا أقصد توضيح معنى الإيمان الصحيح، و ليس الإيمان الذي يقوم على تصورات خاطئة مكون حجة على أصحابها يوم القيامة في حين أن الإيمان الصحيح يكون نجاة و أمانا من عذاب يوم أليم وحرصت كل الحرص أن أبين أثر

---

(١) البقرة آية ١٧٤، ١٧٥.

الإيمـان فـي صـنع الحيـاة الفاضـلة، وأنـه مفتـاح النصـر فـي الـدنيا علـى أعـدائنا الـذين يغتصـبون أرضـنا ـ أرض الإسـلام ـفـي شـتى بقـاع الأرض، ويسـتغلون خيـرات العـالم الإسلامي ليزدادوا خيرا ورفاهية، ونزداد نحن فقراً واستدانة منهم بفائدةٍ باهظـةٍ محرمـةٍ تزيد الطين بلة كما يقال ومن هنا أطلقنا صيحة مدوية في أذان بني قومي أنـه لـن تصـلح هذه الأمة إلا بما صلح بـه أولهـا، وإن أولهـا لـم يصـلح إلا بكتـاب الله، وسـنة رسـوله ﷺ، فكـل مـن حـاول إقصـاء الـدين وإبعـاده عـن حياتنـا الاجتماعيـة والسياسـية والاقتصـادية، وقصـره علـى المسـاجد لا يتعدى جدرانها، وتجـاويف محـاريبهـا.. أقـول إن هـذا الإنسـان لـيس وطنياً فضلاً عن أنه ليس مؤمنا خسـر الـدنيا والآخـرة، وذلـك هـو الخسـران المبـين، وأقصد من وراء نشر هذه الرسالة ـ تلبية رغبة الكثيرين من أبنائي الذين طالبوني بذلك.

وقد سميت هذه الرسالة " حلاوة الإيمان " تحدثت فيهـا عـن: معنـى الإيمـان الصـحيح وأثره في حياة الأمم، ثم بينت كيـف يتـذوق المـؤمن حـلاوة الإيمـان حتـى لا يكـون إيمانـه إيماناً شكلياً، أو جسماً بـلا روح، ولـم يفتنـي أن أبـين صـفات المـؤمنين، و هـي كمـا تـرى كثيرة و مثبوتة في ثنايا القرآن الكريم، وأنهيت الحديث ببيان جزاء المؤمنين حتـى يكـون ذلـك حـافزاً ودافعـاً لتحمـل تبعـات الإيمـان و الـدفاع عنـه، والله أسـأل أن يجعـل ذلـك فـي ميزان حسناتي وحسنات كل الـذين أسـهموا فـي إخـراج هذه الرسـالة بالمـال والجهـد وأن يخلـف عليهم أضعاف ما أنفقوه إنه علـى مـا يشـاء قـدير وبالإجابـة جـدير وصـلى الله علـى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عبد العاطي على سليم

* * * * *

الإيمان والألفية الثالثة

تستعد الأمم و الشعوب من الآن لاستقبال الألفية الثالثة، ويضعون التصورات لما سيكون العالم عليه فيها، وهذا أمر محمود ومطلوب، والإسلام باعتباره الدين الخاتم لما سبقه من الأديان، وصاحب الحضارة التي سجلها التاريخ بأحرف من النور لا يمانع في ذلك، بل يباركه ويدعو إليه بشرط ألا يتناقض هذا التخطيط مع قيمة من قيمه، أو مبدأ من مبادئه، فما دور الدين في الألفية الثالثة القادمة؟

وهل وضع المتخصصون في اعتبارهم الدور الذي يمكن أن يؤديه ديننا الإسلام الحنيف؟ قد يحلو للبعض أن يرسم صورة شوهاء للرجل المتدين وهذه الصورة مستوحاة من خيال مريض بعيد عن الفهم الصحيح للإسلام، وقد امتزج هذا الخيال بواقع مؤلم يشوه صورة الرجل المسلم فبعض الناس قد يتخيل الرجل المسلم أنه رجل عصبي المزاج، عالي الصوت وهستيري الحركات و ربما تصور البعض أن المسلم إنما هو الإنسان المستكين المستميت، والذي يشعرك أنه يرزح تحت عبء السنين والهموم والأحزان لا يحس بجمال هذا الكون الذي فطره الله تبارك و تعالى عليه.

وهناك تصور ثالث يتصور المسلم أنه صاحب الثياب المرقعة القذرة والشعر المنكوش يعلق في رقبته مسبحة طويلة، ويهذي بكلمات مبهمة وربما حمل في يده سيفاً من الخشب، وكل هذه الصور الممسوخة يروج لها البعض ليطعن في الإسلام من خلالها وكأنه يريد أن يقول أن هؤلاء هم الذين أفرزتهم العقيدة الإسلامية وربما رسم البعض هذه الصورة عن جهل وفراغ ديني، ولكن الصورة الحقيقية للمسلم تختلف عن ذلك اختلافاً كثيراً، فالمسلم هو الذي صنع الحضارات، وسبق العالم في تأصيلها وهو الذي تحدى السحابة في السماء وقال لها شرقي أو غربي فسوف يأتيني خراجك كناية عن سعة ملك الإسلام.

والمسلم هو الذي ركب فرسه ووقف أمام البحر ويقول له لو أعلم أن وراءك قوما يعبدون الله لخضتك بفرس غازيا في سبيل الله، إنه يريد أن ينشر الخير والنور لكل البشر ولو كلفه ذلك خوض البحر وهو بهذا كان يتابع أسلافه العظام من صحابة رسول

الله ﷺ حينما قالوا لحبيبهم و نبيهم العظيم: لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد، كيف يكون المسلم صاحب الصوت المتشنج الصاخب، والقرآن الكريم يعلمه كيف يمشي وكيف يتكلم قال عز من قائل على لسان لقمان وهو يعظ ابنه**{وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ}**(1) إنه مقتصد في مشيته لا هي إلى السرعة الهوجاء التي تدل على مزاج حاد و لا هي مشية متمارنة تنم عن الذل والإحباط، و صوته كذلك على قدر الحاجة لا هو عال يصطدم بالأذن فيملأ تجاويفها دوياً وصخباً، ولا هو هامس يحتاج من يسمعه إلى أن يطلب إعادة الكلام مرة ثانية، والمسلم أيضا ليس هو الذي يشعر بالذل والانكسار وترتسم علامات الكآبة على محياه، إنه مطمئن القلب لأنه يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه لم يكن ليصيبه لأنه مؤمن بقول الله - عز وجل - **{لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ}**(2).

إن الدنيا في يده وليست في قلبه وهي ابتلاء واختبار فإن جاءت قابلها بالشكر لله تعالى واهبها، وإن أدبرت قابل ذلك بالصبر وهكذا المؤمن دائما صابر شاكر، عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير له، إن أصابه سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له هذا يهبه العزة، وعزته لا ترتبط بشيء مادي، أو منصب دنيوي وإنما عزته من العزيز الذي لا يذل - قال عز وجل من قائل- **{وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}**(3) إنه سعيد بإيمانه بربه حتى وهو حينما يظهر في عبادته أنه ينحني أو يعفر جبينه بالتراب يكون في قمة عزته فهو لم يعفر جبهته طمعا في شيء من الدنيا، ولا خوفاً من جبار قد يتسلط على البدن ولكنه يعفره لله الخالق العزيز القوى الرحيم، إن المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة ودخلوا على النجاشي ورؤوسهم مرفوعة، ولم يحنوا هاماتهم له ولما سألهم: لماذا لم تسجدوا؟ قالوا: إن لنا ديناً يمنعنا أن نسجد لغير الله تعالى، قالوا ذلك وهم غرباء عن الديار ويعلمون أيضاً أن عمرو بن العاص كان موفداً

---

(1) سورة لقمان آية: ١٩.
(2) سورة الحديد آية: ٢٣.
(3) سورة المنافقون آية: ٨.

مـن قـريش إلـى النجاشـي ليعيـدهم إلـى مكـة حيـث تنتظـرهم سـياط الجلاديـن وقيـودهم وأغلالهم، فأية عزة هذه؟ إنها عزة المؤمن وكفى، ليس المؤمن هو الذي يسير متمارنـا فلقد رأى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - شاباً يسير بهذا الشكل فخفقه بالدرة وهو يقول لـه: لا تمت علينا ديننا.

ورأت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - شبابا يمشون مشياً فيه بطئ وتخـاذل فقالـت: رحـم الله عمـر بـن الخطـاب كـان إذا مشـى أسـرع وإذا تكلـم أسـمع، وإذا ضرب أوجع وكان أخوفنا من الله، أردت أن أبين الصورة الحقيقية للمسلم واستعنت فـي بيان خطوطها وظلالها بالنصوص الدينية وهى الأصدق والأوضح تعبيراً، أمـا الصـور الشوهاء التي رسمها خيال مريض أو جاهل فمـا أبعدها عن الحق والصدق وأرادوا مـا ذكره الشاعر:

فـإن كنـت لا تـدرى فتلـك مصـيبة ::: وإن كنـت تـدرى فالمصـيبة أعظـم

* * * * *

الإســلام و الاقتصـــاد

يستعد رجال الاقتصاد لاستقبال الألفية الثالثة قائلين إن القرن القادم قرن الاقتصاد ويتمثل ذلك في المشروعات العملاقة التي توفر الرخاء والرفاهية للشعب، وفي الانفتاح الاقتصادي و يتمثل ذلك في الأسواق المشتركة و الشراكة بين الدول بعضها وبعض، ويتمثل أيضا في وفرة المنتج و جودته و تنوعه، وفتح أسواق جديدة لتستوعب الوفرة الكثيرة بدلاً من أن تنام نومة أهل الكهف في المخازن.

وأقول: كل هنا جميل ومطلوب، وشكر الله للقائمين عليه ولكن الإيمان الحق هو الذي يجعل هذه الصورة أتم نضجا و أكثر إشراقا، ذلك لأن الاقتصاد لو أدار ظهره إلى الإيمان كان ذلك وبالاً ونقمة والعياذ بالله تعالى، سوف يتعامل بالربا مثلاً طالما ظن أن ذلك يحقق ربحا، والحق أن الربا يمحق البركة من المال مهما كان كثيراً قال - عز من قائل:**{يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ}**(1) قال تعالى**{وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُو عِندَ اللَّهِ}**(2) ولعلنا نذكر الاقتصادي الغربي الذي قال: لا صلاح للعالم إلا إذا أصبح سعر الفائدة صفرا يقصد إلغاء الربا كلية، إذا أدار الاقتصاد ظهره إلى الدين ظهرت الاحتكارات التي تسبب الاختناقات وتؤدي إلى رفع الأسعار، ويشقى الكادحون ويجني المحتكرون الأموال الطائلة و الأرباح الفاحشة، وذلك ما نهى عنه الإسلام، سوف يظهر الغش التجاري الذي يستنزف أموال الفقراء، و سوف تختفي القيم الجميلة والنبيلة التي جاء بها الإسلام والتي يزخر بها تاريخ التجارة التي تتقيد بكل ما دعا إليه الإسلام فالنبي - ﷺ - يقول: **«من غشنا فليس منا»** قال ذلك لتاجر عرض غلالا أصابتها مياه السماء فأخفاه. ولما وضع النبى ﷺ يده أصابها بلل الماء فقال لـه ما هذا؟ قال: أصابته مياه السماء فقال: فهلا جعلته عاليا حتى يراه الناس، من غشنا فليس منا، أو كما قال و هذا تاجر مسلم يبيع شاة ويحرص على أن يبين عيبها فيقول للمشتري: لا عيب فيها إلا أنها تقلب العلف برجلها وما أهون هذا العيب و يستطيع صاحب الشاة التي فيها هذا العيب أن يقيد رجليها مثلا ولكنه الحرص من التاجر المسلم أن يظهر ذلك للمشتري، لماذا فعل ذلك؟ إنه الإيمان، أنه الخوف من الله تعالى بطلب من عنده عز و جل حتى ولو أدى ذلك إلى أن ينقص ثمن السلعة فالدنيا إلى الفناء والآخرة خير وأبقى**{مَا عِندَكُمْ**

---

(١) سورة البقرة آية ٢٧٦.

(٢) سورة الروم آية ٣٩.

يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ} (١).

وهل أتاك نبأ إبنة بائعة اللبن التي قالت لها أمها: قومي يا بنتي فاخلطي اللبن بالماء وقالت الفتاة: ألم تسمعي يا أماه منادي أمير المؤمنين أنه قال: لا تخلطوا اللبن بالماء؟ فقالت الأم: وأين أمير المؤمنين منا الآن؟ فقالت البنت: إذا كان أمير المؤمنين لا يرانا فإن رب أمير المؤمنين يرانا.

وهذا تاجر أخر كان يبيع نوعين من الحلل **أحدهما:** قيمته مائتي درهم، **والثاني:** أربعمائة، وذهب هذا التاجر لقضاء حاجة لـه، وترك ابن أخيه في المحل وبينما هو راجع رأى رجلا يحمل على يديه حلة فسأله: بكم اشتريت هذه الحلة فقال بأربعمائة وعرف التاجر أنها من النوع الذي ثمنه مائتان فقال لـه: لكن هذه الحلة ثمنها مائتان فقال الذي اشترى إنها عندنا تساوي أكثر من ذلك وأنا ارتضيت هذا فأخذه معه وأعطاه مائتين وعنف ابن أخيه وقال: أما تخشى الله؟ أتبيع ما قيمته مائتان بأربعمائة فقال ابن أخي التاجر لكنه رضي ذلك، فقال لـه هلا رضيت لـه ما رضيت لنفسك، ونسأل السؤال الذي سألناه سابقا لماذا هذا الذي فعله التاجر؟ والجواب: أنه الخوف من الله!! وينهى الإسلام عن بيع الثمر قبل بدو صلاحه ففي ذلك غرر ولذلك نهى عنه رسول الله - ﷺ - عن بيع الثمرة حتى تحمر وقال: **«إذا منع الله الثمرة فبم تستحل مال أخيك»** (٢) ونهى رسول الله - ﷺ - عن بيع الشيء قبل قبضه هذه مجرد أمثلة فقط لموقف الإسلام من الاقتصاد. وإذا تمرد على الدين واختلط لنفسه طريقاً غير طريقه كان ذلك فساد الدنيا وفساد الآخرة فالمال فى كثير من الأحيان يكون بسبب الفساد قال تعالى:**{كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى}**(٣) وقال عز من قائل**{وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}** (٤).

* * * * *

(١) سورة النحل آية: ٩٦.
(٢) حديث صحيح: منهاج المسلم ٣٧٢.
(٣) سورة العلق آية: ٦، ٧.
(٤) سورة التوبة آية: ٧٦، ٧٧.

الإســلام والعلــم

يتنبأ كثير من الناس أن القرن القادم من الألفية الثالثة سوف يكون قرن العلم، ولا مكان فيه لأمة جاهلة، إلا إذا رضيت لنفسها أن تسير فى نهاية الركب راضية بالفتات الذي يجود عليها به أصحاب العلم الذي سوف يستخرجون به نبات الأرض، وكنوزها، ويظهرون ما اختبأ فى ثناياها من المعادن، وعلى ذلك فهم يقولون: إن الذى سوف يمتلك العلم هو الذى سوف يمتلك الدنيا، وعلى ذلك فعلى سبيل المثال، فإن الحروب التقليدية التي يقودها العسكريون ويحشدون من أجلها الجنود والدبابات والطائرات سوف يكون تأثيرها محدوداً أو يأتي دورهم بعد دور العلماء الذين يجلسون وراء الأجهزة يحركون أزرارها بأصابعهم فتتغير خرائط الدول، وتتبدل معالم الأرض، وتهتز العروش وتتساقط التيجان، من على رؤوس أصحابها، ولقد استمعت مرة إلى إذاعة أجنبية تتحدث عن هذا اللون من ألوان الحرب، وأنه استخدم فى حرب الخليج الثانية ويعنون بها الحرب التي شنت قبيل رمضان المبارك من عام ١٤١٩ فقد استطاع العلماء أن يتعرفوا على كل المعلومات المسجلة على أجهزة وشبكات المعلومات وبدأوا يتدارسونها ويتعاملون معها، وبذلك سهل عليهم تبديد الكثير منها.

هذه هي النغمة السائدة الآن فى أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية ويطالب العقلاء بوضع ميثاق شرف إن كان للأقوياء غير الملتزمين شرف أن يرفع العلماء أيديهم عن المعلومات التي تخص المدنيين فى صحتهم، وطعامهم، وشرابهم، فالمعلومات الصحية والزراعية والتنموية يجب أن تكون بعيدة عن التدمير، ولكن هذا الكلام ضرب من الخيال وشعار المتحاربين الذين لا يهتدون فى حروبهم بوازع الدين والخلق "على وعلى أعدائي"، والجاسوس في الألفية الثالثة لم يعد الرجل الذي يخاطر بحياته ويدخل بلد عدوه ويلتقط الأخبار خبراً من هنا، وخبراً من هناك ويرسلها إلى من يدفع أكثر من الدولارات أو الجنيهات، ولكن جاسوس الألفية الثالثة هو الذي يستطيع أن يفض الخاتم الذي تضعه كل دولة على أسرارها، وإذا ما استطاع هذا الجاسوس أن يصل إلى ذلك فسوف يضمن لمن يتجسس لحسابه التفوق لأن السماء تكون مفتوحة له وتصبح الأرض مفروشة لاستقباله فدور العلم إذاً دور خطير، وما لم يتقيد بالدين والخلق فسوف يكون بكل تأكيد شراً ووبالا فما أحوجنا إلى العلم وإلى الإيمان الحق والخلق النبيل.

قال شاعر النيل حافظ إبراهيم موازناً بين المال والعلم والخلق:

والنـــاس هـــذا حظـــه تـــال وذا ::: علـــم وذاك مكـــارم الأخـــلاق[2]
والمـــال إن لـــم تـــدخره محصـــناً ::: بـــالعلم كـــان نهايـــة الأخـــلاق
والعلـــم إن لـــم تكتنفـــه شـــمائل[1] ::: تعليـــه كـــان مطيـــة الإخفـــاق
فـــإذا رزقـــت خليقـــة محمـــودة ::: فقـــد اصـــطفاك مقســـم الـــرزاق

فحافظ إبراهيم جعل المال محتاجاً إلى العلم والعلم محتاجاً إلى الأخلاق والمصدر الصحيح للأخلاق إنما هو الإيمان، ولقد قال الرسول - ﷺ - : **«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**.

وقال الشاعر على الجارم:

قتـــل العلـــم كيـــف دبـــر للغتـــك ::: عتـــاداً وللـــدمار جنـــوداً
فهـــو كـــالخمر تنشـــر الشـــر وإلا ::: ثـــم وإن كـــان أصـــلها عنقـــوداً
عـــالم فـــي مكانـــه ينســـف الأرض ::: وثـــان يجـــر منهـــا الوريـــداً
حســـرتا الحيـــاة مـــاذا دهاهـــا ::: أصـــبح النـــاس قـــاتلا وشـــهيداً

فالإيمان إذاً ضرورة من ضروريات الحياة وليس ترفاً وليس طقوساً تؤدى تحت عباب المساجد، وداخل تجاويف المحاريب وإنما الدين جاء لإصلاح الدنيا والآخرة. يوم تمسك أسلافنا بالدين الحنيف يحلون حلاله، ويحرمون حرامه يوم أن دانت لهم الدنيا، وملكوا شرقيها وعربيها ويوم أن خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات تخلفوا. إن الإيمان بالله يخلق في أعماق السلم شعوراً غامراً يملأ على المؤمن أبعاد نفسه وأقطارها فلا يرى في الوجود شيئاً يراه غير الله الذي هو على كل شيء قدير حسيب، والكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

---

(١) أخلاق.
(٢) الفقر.

ومن هنا فإننا نؤكد على أهمية الدين في الألفية الثالثة ونرى أن الذين يريدون أن يهمشوا أثر الدين، ليجعلوه علاقة خاصة بين العبد وربه فقط نرى أن هؤلاء ليسوا كذلك وطنيين، ولو أنهم أرادوا الخير لبلدهم لوجهوا أبناء بلدهم توجيهاً يجمع بين العلم والإيمان، وبين الدين والدنيا**{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ}**(١) وحينما أدار الاتحاد السوفيتي ظهره إلى الدين وقال مقولته الشائنة " لا إله والحياة مادة " واعتقدوا أن التدين تخف ورجعية أقول: حينما فعل ذلك كانت بداية النهاية الحتمية التي تمثلت الآن في تفكك وحدتها، واضطرت صاغرة أن تمد يدها إلى عدوها التقليدي تستجديه وتطلب المعونة، وهذا شأن كل مخالف للإيمان بالله تعالى إن علمانية بغضته بدأت تزحف إلى بعض بلاد العالم الإسلامي وبدأت رياحها تهب عليها متمثلة في فن هابط، وانحلال مرفوض ومقالات مشبوهة تحاول أن تنال من قيم الإيمان الحقة ونخشى ما نخشاه أن يصيب هذه البلاد ما أصاب غيرها. مما يؤسف له أن دولة كانت عاصمة الخلافة الإسلامية اعترض نواب الشعب فيها على نائبة وصلت إلى مقعدها في البرلمان باختيار حر من ناخبيها وهى ترتدي الزى الإسلامي لماذا؟ لأنها امتثلت أمر الله عز وجل وسترت ما أمر الله بستره كما قال - عز من قائل:**{وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ}**(٢) ولنا أن نسأل دعاة الديموقراطية، أليس قد انتخبها الناخبون وهم يعلمون ويشاهدون أنها ترتدي الزى الإسلامي؟ أليست الملابس من وجهة نظركم حرية شخصية فلما تدخلتم في حريتها؟ لكن لأنهم أداروا ظهرهم للإيمان بالله تعالى، واختاروا لأمتهم هذا الوجه القبيح فإني أخشى أن يصيبها ما أصاب الأمم قبلها من الذين عصوا الله وخالفوا الرسول - ﷺ - ولا أملك إلا أن أدعوهم بالهداية وأن تستعيد أمتهم دورها الإسلامي مع إخوانها في العالم الإسلامي.

* * * * *

---

(١) سورة القصص آية ٧٧.

(٢) سورة النور آية ٣١.

الإسلام وصراع الحضارات

يؤمن الغرب بأن صراعا دار وما زال يدور بين حضارتهم والحضارات الأخرى، ويرون أن حضارتهم استطاعت أن تمحو الحضارة الشيوعية وهذه هي الخطوة الأولي، وسوف تتبعها خطوات لتتربع حضارتهم على عرش الدنيا، والحق أن الحضارة الإسلامية لها الفضل الأكبر في القضاء على الشيوعية وأن الجهاد الإسلامي هو الذي دحر الشيوعية وعجل بموتها وإن كان الغرب قد ساعد في ذلك ربما بالمال وبالسلاح ولكن الرجال المسلمين هم الذين تحملوا عبء الجهاد وضراوته حتي كتب الله لهم النصر وبعد أن كان الغرب يساعد المجاهدين المسلمين حتي اندحرت الشيوعية، وانحسر مدها الأحمر بدأ يتنكر للإسلام وأطلقوا على رجاله الإرهابيين وذلك؛ لأن الصراع بين الحضارات أصبح الآن من وجهة نظرهم صراعا بين الإسلام والغرب، وهذا يفسر الازدواجية في السياسة الغربية وأنها تكيل بمكيالين وتزن بميزانين: مكيال تكيل به لصديقتهم المدللة التي تغتصب الأرض وتريد أن تملي شروطها لتفوز بنصيب الأسد من الأرض والماء وغير ذلك فهي تغض الطرف عن تناقضها، وتكرها لوعودها التي وقعت عليها أمام الملأ. وللغرب مكيال آخر يكيل به للدول الإسلامية فهي تفرض الحصار والتجديح إلي آخر ما يعلمه الجميع ولا يحتاج إلي بيان.

هذه مقدمه بسيطة أقدمها بين يدي ما يسمي صراع الحضارات. وما أريد أن أذكره أن نتيجة هذا الصراع محسومة. سلفا - لصالح حضاراتنا الإسلامية، لأنها مبنية على عقيدة من لدن الخالق - عز وجل - أما حضاراتهم فحضارة مادية من صنع المخلوق ومن ثم فيه دائمة التغيير والتبديل، أما نحن فحضارتنا فيها معاني الثبوت، والشمول والاستمرارية، وإذا عدنا إلي الوراء نستلهم التاريخ للصراع الذي دار بين المسلمين وبين أعتي قوتين أعني قوة الفرس وقوة الروم نري أن المسلمين استطاعوا أن يتغلبوا عليهما، وأن يقيموا على أنقاضهما حضارة الإسلام شامخة عالية متسامحة مما دفع الكثيرين إلي اعتناق الإسلام بعد أن رأوا فيه وفي رجاله كل معاني الحب والود والتواضع وعدم الاستعلاء على بعد أن رأوا فيه وفي رجاله كل معاني الحب والود والتواضع وعدم الاستعلاء على الآخرين باعتبار أنهم الفاتحون المنتصرون، هذا على الرغم من أن أسلحة المسلمين لم تكن كأسلحتهم بل كانت دونها بخطوات كثيرة. يعلل بعض المغرضين انتصار المسلمين على الفرس والروم بأن ذلك راجع إلي البداوة

فالبـدوي بطبيعتـه شـجاع مقـدام جـرىء، والبـدوي بحكـم التنشـئة البدويـة يسـعون وراء مراعيهم التي يسيمون فيها أنعامهم وهم مستعدون دائمـا للقتـال و النضـال فأمـا أن يكـون هكذا وأما أن يلقوا حتفهم جوعاً وعطشاً والـرد علـى ذلك أن نقـول لهـم: كيـف تعللـون يـا سادة انتصار المسلمين العرب علـى العرب غيـر المسـلمين فـي غـزوة بـدر والفـتح بـرغم التفاوت الواسع بين قوة العرب المسلمين وبين قوة العرب غير المسلمين فـالجنس واحـد، ولكن كفة وسائل الحرب تميل إلي جهـة المشـركين غيـر أن المسـلمين حـازوا الانتصـار، ووقع المشركون أسري، هل يستقيم قولهم هذا مع هذه الحقائق التاريخيـة التـي لا ينكرهـا إلا حاقد أو جاهل؟

إن موازنـة بسيطة بين المسلمين وبين المشركين في غزوة بدر ترينـا أن هـذا النصـر راجع إلـي معنـي قولـه تعـالى{**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**} (1)وإلـي قولـه تعالى{**كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**}(2) كانـت نسـبة عـدد المسـلمين إلـي المشـركين كنسـبة ١: ٣ فالمسـلمون ثلاثمائـة وبضـعة عشـر رجـلا والمشركون قرابة الآلف، وكانـت نسـبة الخيـول كنسـبة ١: ١٠٠ فعنـد المسـلمين فرسـان، وعنـد المشـركين مائتـا فـرس، وكـان مـا مـع المسـلمين مـن الإبـل بالنسـبة إلـي مـا مـع المشركين كنسبة ١: ١٠ فكان ما مع المسلمين سبعين من الإبل يتعـاقبون الركـوب عليهـا كل ثلاثة لهم بعير واحد، وحينما أراد رفيقا رسول الله أن يركب هو وأن يمشيا همـا قـال لهمـا: مـا أنتمـا بأقدر منـي علـى المشـي ومـا أنـا بـأغنى منكمـا عن الثـواب ولا تسل عن السلاح في الفريقين فالمسلمون قد خرجوا لمصادرة قافلـة تجاريـة لقريش الـذين اسـتولوا على أموال المهاجرين بعد أن أخرجوهم من مكة، ولم تكن القافلة بحاجة إلي سلاح كثير أما المشركون فقد خرجوا لمحاربة المسلمين.

ولقد قال أبو جهل لمن طلب إليه أن يعود النـاس بعد أن نجـت القافلـة: والله لا نرجـع حتي نرد بدرا، ونشرب الخمر وتغنينا القيان ويعلم العرب أنـا نحـن النـاس، ومـاذا كانـت النتيجة؟ كانت النتيجـة أن أسـر مـن المشـركين سـبعون وقتـل سـبعون فمجمـوع خسـائرهم مائة وأربعون رجلاً، أما المسلمون فكـان شـهداؤهم أربعـة عشـر شـهيدا فالنسـبة ١: ١٠.

---

(١) سورة محمد.

(٢) سورة البقرة.

إنه الإيمان الذي يصنع المعجزات وكفي وليس الجنس أو السلاح، وإلا فما قيمة السلاح في يد إنسان ذي قلب فارغ يكاد يطير شعاعا عند أول لقاء؟ وقد خضنا في تاريخنا الحديث حرب العاشر من رمضان وكانت نتيجتها لصالحنا على الرغم من أنهم كانوا متقدمين علينا في السلاح والتحصينات بعشرين خطوة، وقد يكون من المفيد هنا أن نسأل سؤالا مؤداه: هل ثقافتنا ثقافة جامدة توصد الباب بالقفل والمغلاق في وجه أي وافد ثقافي جديد يأتي من هنا أو من هناك؟، والجواب: لا، فالثقافة الإسلامية ثقافة مرنة تؤثر وتتأثر، غير أن هناك ثوابتنا لا يصح المساس بها، ويجب أن نقف بكل صلابة وحزم في وجه أي وافد يتصادم مع ثوابتنا الإسلامية، وعلى سبيل المثال: ما يزال الغرب يفتري على الإسلام أنه ضد حقوق الإنسان فالمساواة بين أفراده مساواة ناقصة ويستدلون على ذلك بتوزيع الميراث.

فالإسلام يري أن للذكر مثل حظ الأنثيين، وهذا أمر ثابت بنص القرآن الكريم قال تعالى:**{وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ}** (1) وأن شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل، وذلك - أيضا - أمر ثابت في القرآن الكريم قال تعالى:**{وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى}** (2) ثم لماذا يتزوج المسلم المرأة الكتابية إذا أحبها ورغب فيها، ولا تتزوج المرأة المسلمة رجلاً كتابياً إذا أحبته ورغبت فيه؟، هذا بعض ما يستدل به الغرب على أن الإسلام لا يسوي بين رجاله ونسائه تسوية كاملة، وتعالوا بنا نناقش هذا الإدعاء، أنهم يقطعون الحكم من سياقه فيبدو متبوراً كما يقطع جزء من كان حي هبك قطعت فخذ شاة حية وأبنته عنها فهل يجوز لك أن نتناول هذا الجزء المقتطع؟ الجواب: لا، فهذا الجزء المقطوع حكمه حكم الميتة لا يحل أكله، أو كمثل من يقطع جملة من القرآن عن سياقها ويزعم أن ذلك القرآن لقد قال الله تعالى:**{فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ}** (3) فهل يصح أن يقال قال الله تعالى**{وَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ}** وسكت؟ افهموا يا قوم الإسلام ككل، خذوا الحكم وافهموا

(1) سورة النساء أية ١٧٦.

(2) سورة البقرة أية ٣٨٢.

(3) سورة الماعون أية ٦، ٧.

أسراره وأنا زعيم أنكم ستفهمون الحكم فهما صحيحا، ثم تعالوا إلي التفرقة في الميراث بين الرجل والمرأة، وبادئ ذي بدء نقول ليست التفرقة في الميراث بين الرجل والمرأة دائما وأبدا بين كل رجل وامرأة بل هناك بعض أحكام الميراث تسوي بين الرجل والمرأة ومن ذلك يقول الله تعالى:**{وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَه وَلَدٌ}** [1] فالأب نصيبه السدس والأم نصيبها السدس إذا كان للميت ولد والأخ لأم والأخت لأم نصيبهما واحد قال تعالى**{وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وله أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ}** [2].

فأنت واجد في الآية التسوية بين الرجل والمرأة في هذه الآية الكريمة أما في ميراث الإخوة والأخوات فللذكر مثل حظ الأنثيين والحكمة في ذلك أن المرأة ليست مكلفة بالإنفاق على نفسها فنفقتها على زوجها فإذا اتخذت نصف ما يأخذ أخوها فذلك لأن أخاها ينفق من نصيبه على نفسه وعلى امرأته، أما أخته فنفقتها على زوجها ونصيبها ملك لها وحدها لا يحل للزوج أن يأخذ منه شيئا إلا أن تطيب بذلك نفسا قال تعالى**{فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً}** ولأن نفقة الزوجة على زوجها أباح الإسلام أن تعطي المرأة زكاتها لزوجها ولم يبح أن يعطي الزوج امرأته زكاته لأن نفقتها واجبة عليه، أما شهادة المرأة وأنها على النصف من شهادة الرجل فلأن المرأة من طبيعتها ألا تشهد أمثال الحدود ولا المعاملات وليس ذلك من اهتمامها فربما تنسي وحينئذ قد تذكرها الأخرى قال تعالى:**{أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى}**.

وأما كون الرجل يجوز لــه أن يتزوج الكتابية ولا يجوز العكس فلأن نصوص الإسلام تحتم على المسلم أن يحسن إلي امرأته ولو كانت كتابية ومن الإحسان إليها أن يمكنها من أداء شعائر دينها، ولكن هل هذه النصوص ملزمة لغير المسلم حين يتزوج مسلمة؟ الجواب بالقطع لا، لأنه غير مطالب بها خلاصة ما أريد أن أقره أن عندنا ثوابتاً لا يصح المساس بها، وأما ما عدا ذلك فلا مانع إطلاقا من الاستفادة منه فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها، وعلى سبيل المثال، عقد في بلادنا في سبتمبر من عام

---

(١) سورة النساء أية ٤.

(٢) سورة النساء أية ١٢.

أربعة وتسعين مؤتمر البيئة والسكان وحضر الشواذ من الغرب ونـادوا بـالزواج المثلـي بـين الرجـل والرجـل والمـرأة والمـرأة ومعنـي إقـرار ذلـك إباحـة اللـواط والسـحاق وهـذا مرفـوض ومعلـوم بداهـة مـن الـدين قـال تعـالى**{وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ}** وقـال تعـالى**{وَالَّلذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً}** كما نادي هؤلاء لشواذ بإباحة الزني، وإجهاض الأم التي تحمل سفاحا وهذا أمر مرفوض لأنه ضد الثوابت الإسلامية ونحمد الله تعالى أن وقفت مصر المؤمنة ووقف من ورائها العالم الإسلامي ضد ذلك العفن النتن، أما إذا كانت الثقافة الوافدة لا تمس ثوابتنا ولا تخدش حياءنا ولا تخرج ديننا فأهلا ومرحبا ما دام فيها مصلحة لنا فالتقدم التكنولوجي والتقني مما نرحب به، ولكن هل يسمح الغرب بتصدير ذلك إلينا؟ لا أعتقد أن ذلك سهل بل لو كان عندهم عبادة لا تتصادم مع عبادتنا فلا مانع منها فشرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد في شرعنا ما ينسخه، وحينما هاجر رسول الله من مكة إلي المدينة ورأي اليهود يصومون يوم عاشوراء وسأل عن ذلك فقيل له إن هذا يوم صالح يوم نجى الله فيه موسى عليه السلام ومن معه من فرعون وقومه فقال عليه الصلاة والسلام: **«أنا أحق بموسى منكم»** فصامه وأمر بصيامه وفي صحيح البخاري كثير من الأحاديث التي تتحدث عن أهل الكتاب سلبياتهم وإيجابياتهم، ولم يبخس النبي ﷺ حقهم وتري من ذلك بعض ما جاء في صحيح البخاري فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأعمي وأقرع بدا لله عز وجل – أن يبتليهم فيبعث إليهم ملكا فأتي الأبرص فقال: أي شئ أحب إليك؟ فقال: لون حسن وجلد حسن قد قذرني الناس قال: فمسحه فذهب عنه وأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً فقال: " الملك " وأي شئ أحب إليك؟ قال: الإبل وقال أحدهما البقر فأعطي هو شك في ذلك أي إن الأبرص أو الأقرع قال إحداهما الإبل وقال إحداهما البقر فأعطي ناقة عسراء فقال: يبارك لك الله فيها وأتي الأقرع فقال: أي شئ أحب إليك؟ قال شعر حسن ويذهب هذا عني قد قرني الناس قال فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعراً حسناً قال**

فأي المال أحب إليك قال: البقر قال: فأعطاه بقرة حاملاً وقال: يبارك لك فيها، وأتي الأعمى وقال: أي شئ أحب إليك قال يرد الله لي بصري فأبصر به الناس قال: فمسحه فرد الله عليه بصره قال: وأي شئ أحب إليك؟ قال الغنم فأعطاه شاة والدا فأنتج هذا " الإبل والبقر " وولد هذا فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم ثم إنه أتي الأرض في صورته وهيئته فقال " الملك رجل مسكين تقطعت به الحبال " الأسباب " في سفره فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطى لك اللون الحسن والجلد الحسن والمال – بعيرا – أتبلغ به فقال: إن الحقوق كثيرة فال " الملك " له كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقد أعطاك الله؟ فقال لقد ورثت كابرا عن كابر فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلي ما كنت، وأتي الأقرع في صورته وهيئته وقال له مثل: ما قال لهذا فرد عليه مثل ما رد على هذا فقال: إن كنت كاذبا فصير الله إلي ما كنت، وأتى الأعمى في صورته فقال: رجل مسكين وابن سبيل فقطعت بي الحبال فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك قال: قد كنت أعمى فرد الله على بصري وفقيرا قد أغناني فخذ ما شئت فوا الله لا أحمدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي عنك وسخط على صاحبيك» [1].

في قصة هؤلاء الثلاثة عبر نحن أحق بها فحينما بخل الأولان وكذبا ردهما الله إلي ما كانا فيه وحينما صدق الثالث وجاد حفظ الله عليه نعمته وبارك لـه فيها**{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى}** [2]بل إن القرآن الكريم ذكر طرفا من أخبار بني إسرائيل فقال تعالى**{وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن**

(١) فتح البخاري جـ ١٠ ص ٢٦٦ دار الغد.
(٢) سورة الليل: ٥ - ١٠.

تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ}[1] فالله تبارك وتعالى ينصف الأمناء من أهل الكتاب وأنهم يردون ما أخذوه ولو كان قنطاراً، ويذكر أن منهم الخونة الذين يجحدون ما أخذوه ولو كان ديناراً، غير أنى أحب أن أنبه إلى في أنه أول السلام ولم تكن ملامح الدين وقواعده قد عرفت واشتهرت كان رسول الله ﷺ ينهى عن قراءة كتب أهل الكتاب حتى لا يغتروا بما فيها لأن فيها الصحيح والمحرف وحينما رأى النبي ﷺ من يقرأ صحيفة من كتب أهل الكتاب قال: لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي، ولما استقرت مبادئ الإسلام، استطاع المسلم أن يميز بين الصحيح وبين الزائف أباح الحديث عنهم فقال حدثوا عنهم ولا حرج، فالثقافة الإسلامية التي هي إحدى مقومات حضارتنا ثقافة منفتحة نرحب بأي وافد جديد ما دام لا يتصادم مع ثوابتنا وما دام فى مصلحة لنا وقد ترجم العرب المسلمون فلسفة أفلاطون وأرسطو، ونقل المسلمون هذه الفلسفات واستوعبوها وبينوا الصالح منها وغير الصالح وعن طريق هؤلاء المسلمين وصلت الفلسفة إلى الغرب، واستفاد المسلمون من المنطق الأرسطى بأشكاله فى حوارهم ومناقشاتهم فى الدراسات الإسلامية، ومن هنا فإننا نناشد كل من يهمه الأمر أن يدققوا وأن يمحصوا كل وافدٍ جديد أما أن نسمح لكل ما هب ودب تحت شعار ثقافة ليس لها وطن فتلك كارثة فهيب بأمتنا ألاّ تقع في حبائلها، ومن المهم أيضا أن نعطي أبناءنا وبناتنا جرعات دينية مكثفة تجعلهم في مأمن من أن يجرفهم تيار صالات الديسكو وتناول البانجو وسائر المخدرات الأخرى وإلا فإن الإفرازات التي يفرزها هذا العبث ما رأيناه منذ سنوات من ظهور عبدة الشياطين. على حملة أقلام ومن أعطاهم الله القدرة على أن يخاطبوا الناس ويؤثر فيهم أن يتحدثوا مع العالم باللغة التي يعرفها ويفهمها من خلال شبكات "الإنترنت وشاشات الكمبيوتر وأن يوضحوا للناس القيم التي يزخر بها ديننا الحنيف من العدل والحرية والمساواة قال تعالى**{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ}** [2] والله غالب على أمره، والله ولي التوفيق.

* * * * *

---

(١) سورة آل عمران: ٧٥.

(٢) سورة النساء: ٥٨.

الإيمان وآثره في حياه الأمم

هذا موضوع يجب أن ينال العناية الكاملة سواء من المتحدث أم من السامع، ذلك لأنه الأساس القوي والمتين الذي يبني عليه مستقبل الإنسان يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم في جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، فيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وينبني عليه - أيضا - سعادة البشر وحياتهم في الدنيا، ذلك لأن الإيمان ليس عملاً أخرويا فقط، وإنما هو أساس لحياة يسودها الحب والإخاء والوفاء والرخاء والازدهار والنماء، والنصر على الأعداء، واستشهدوا التاريخ ينبئكم كيف انتصر العرب بهذا الإيمان على الفرس والروم وهما أقوي الأمم آنذاك. كان المسلم الذي يحمل عقيدته بين جنبيه حينما يخرج غازيا في سبل الله تهتز التيجان، ويتزلزل العروش، وتنخلع الأفئدة أمام زحفه الظافر ولا يسع قائد الأعداء إلا أن يربط جنوده بالسلاسل حتي لا يفروا، وهم الأكثر عددا وعدة، والمعركة على أرضهم التي هم أعرف بها، بل هم داخل حصونهم المنيعة، ومع كل هذا كان الجيش المسلم يعود وأكاليل الفخار تتوج هامات جنوده وقواده ولا تفسير لذلك إلا بأن المسلم تدفعه عقيدته إلي أن يخوض غمار هذه المعارك وشعاره إما النصر وإما الشهادة**{قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا}** [١]**{إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا}** [٢]**{كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}** [٣] الإيمان في اللغة مشتق من الآمن الذي ضد الخوف، فالإيمان يجعل صاحبه آمنا مطمئنا قال تعالى**{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ}** [٤].

---

(١) سورة التوبة ٥٣.
(٢) سورة الأنفال ٦٥.
(٣) سورة البقرة ٢٤٩.
(٤) الأنعام ٨٢.

ومن أسماء الله تعالى (المؤمن) لأنـه أمن عبـاده من أن يظلمهم{**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ**} [1] : «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا**» ويطلق الإيمـان - أيضـا - علـى التصـديق قـال تعالى حكاية عن إخوة يوسف حينما فعلوا فعلتهم بأخيهم{**يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**} [2] أي ومـا أنـت بمصـدق لنـا، وقبـل أن نـذكر معنـي الإيمـان فـي الشـرع نحـب - أولا - أن نـذكر بعـض التصورات الخاطئـة لمعنـى الإيمـان، فللنـاس بعض التصـورات التـي لا تتفق مـع مفهـوم الإيمان الصحيح ومن ذلك:

أولا: بعض الناس يتخيل أن الإيمان كلمة يقولها بلسـانه دون أن ينفعل بهـا قلبـه، أو تتـأثر بهـا جوارحـه، وهـذا مفهـوم خـاطئ لمعنـي الإيمـان الـذي يهـب صـاحبه الآمـن يـوم الفزع الأكبر والدليل على ذلك:

١- لو كان الإيمان كلمـة فقط لكـان المنـافقون مـؤمنين، فهـم ينطقـون بـأفواههم كلمـة الإيمـان{**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا**} [3]{**نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**}.

٢- لو كان الإيمان كلمة فقط لكان فرعون مؤمنا، لأنه نطق بكلمة الإيمـان، وأمـواج البحر تطبق عليه، وعلى أعوانه " فلما أدركه الغرق قال: أمنت أنه لا إله إلا الـذي آمنـت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين " لكن الله يرد عليه{**آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً**} [4] فليس الإيمان كلمة ينطـق بها اللسان دون أن يكون لها أثرها في السلوك الإنساني.

ثانيـا: لـيس الإيمـان كـذلك معرفـة ذهنيـة عقليـة كمـا نعـرف النظريـات الفلسـفية أو الرياضية فهذه المعرفة المجردة لا قيمة لها إن لم تخالط الوجدان، وتنبر القلب، وتتحـول

---

(١) سورة الزلزلة أية: ٧، ٨.

(٢) سورة يوسف أية: ١٧.

(٣) سورة البقرة أية: ١٤.

(٤) سورة المنافقون آية: ١.

إلي تطبيق عملي والدليل على ذلك:

١- أن مشركي مكة كانوا يعرفون رسول الله ﷺ جيدا وأنه صادق فيما يقول، فهم الذين لقبوه " الصادق الآمين " وما كان إنسان ليترك الكذب على الناس في صباه ثم يكذب على الله - عز وجل - في رجولته وكهولته قال تعالى**{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى}** إنه صاحبهم الذي يعرفونه جيدا فليس غريبا عنهم إنه من بني جلدتهم، ومن أهل مكة، ومن الأسر العريقة التي يدينون لها بالرئاسة والسيادة.

يروي أن الأخنس بن شريق قال لأبي جهل يوم بدر: أصدقني يا أبا الحكم ليس هناك أحد غيري وغيرك أمحمد صادق أم كاذب؟ فقال أبو جهل - والفضل ما شهدت به الأعداء - والله إن محمدا لصادق - ولكن ماذا تقول إذا افتخرت عشيرته بان منهم نبيا وليس منا نبي، وصدق الله العظيم إذ يقول:**{وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ البَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِياًّ وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}**(١). وكانوا يقولون لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظم والعظمة في نظر هؤلاء تمثل في كثرة المال والأولاد وما دروا أن العظمة الحقيقية هي عظمة الروح وعظمة القلب وأن رسول الله ﷺ عظيم بمقياس الله - تبارك وتعالى -:**{لَوْلا نُزِّلَ هَذَا القُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ}** (٢)، فقد زكي الله خلقه فقال يخاطبه**{اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ}** (٣) وزكي بصره قال**{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}** (٤)، وزكي فؤاده فقال**{مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى}** (٥)، فالله عز وجل قد وضع رسالته حيث العظمة الحقة التي تستطيع أن تتحمل تبعاتها وأن تؤدبها بحب وتفان وإخلاص وعزيمة تزلزل الجبال أمامها: **«والله يا عمي لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن**

(١) سورة النحل آية: ١٤

(٢) سورة الزخرف آية: ٣١.

(٣) سورة الأنعام آية: ١٢٤.

(٤) سورة القلم آية: ٤.

(٥) سورة النجم (١١).

أترك هـذا الأمـر مـا تركته حتي يظهـر الله أو أهلـك دونـه» قـال ذلـك أمـام الإغـراءات المتمثلة في الرئاسة و المال والشهرة والنساء وهذه الإغراءات يسيل لها لعاب العظماء بمقياسهم الخاطئ لمفهوم العظمة وصدق ربنا عز وجل إذ يقول**{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ}**(١)، واختار رسول الله ما عند الله، اختيار ما يبقي على ما يبقي.

٢ - لو كان الإيمان معرفة ظاهرية فقط لكان كثيرون من المستشرقين مؤمنين ذلك لأنهم درسوا الإسلام وكانت لهم كتبهم وكتباتهم وإن كان الكثير منها يضع السم في الدسم كما يقال - فالإيمان ليس معرفة نظرية فقط، وقد قيل لأحد الفاهمين معني الإيمان الحقيقي: إن فلانا حفظ البخاري فقال هذا الرجل: لقد زادت نسخة في البلد فحفظ البخاري وحده دون أن يعمل بمقتضاه لا يعدو في حقيقة الأمر إلا زيادة نسخة على النسخ المطبوعة في البلد.

٣- ليس الإيمان مجرد أماني معسولة وخيالات مجنحة فكثير من الناس من يقبل يده ظهرا وباطنا قائلا الحمد لله نحن من أمة محمد ﷺ دون أن يعقل شيئا يدل على أنه منهم قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أراد أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها وهو يشير بذلك إلي قوله تعالى**{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}** (٢)، فمن لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر ومن لم يؤمن بالله فليس من هذه الآية في شيء ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل وإن أناسا ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنه لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العلم.

---

(١) سورة آل عمران (١٤، ١٥).

(٢) سورة آل عمران ١١٠.

يـروى أن ناسـاً مـن اليهـود ومـن النصـارى ومـن المسـلمين اجتمعـوا فقـال اليهـود للمسلمين نحن خير منكم كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ولـن يـدخل الجنـة إلا مـن كـان هوداً وقالت النصارى مثل ذلك فقال المسلمون كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم وقد أمرتم أن تتركوا دينكم وأن تتبعوا ديننا فنحن خير منكم فنزل قولـه تعالى ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوء يجزى بـه فليس الإيمان مجرد أماني مجردة عن العمل.

٤- ليس الإيمان كذلك مجرد أعمال شكلية يؤديها الإنسان ويظن أنه عبد الله بها فالعبادة لها وظيفة اجتماعية إلي جوار وظيفتها الدينية فالصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر والحديث القدسي يقول ما معناه : **«إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ولم يستطل بها على خلقي ولم يبت مصرا على معصيتي وقطع نهاره في ذكري ورحم الأمـة المسـكين والأرملـة ورحـم المصـاب ذلـك نـوره كنـور الشـمس أكلـؤه بعزتـي واستحفظه ملائكتي ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة»** (١)، وبناء على مفهوم هذا الحديث فإن الله لا يقبل صلاة المتكبرين والمصرين على المعصية والذين يعيشون غافلين عن ذلك وقست قلوبهم فلم ترحم المسكين ولا الأرملة ولا المصاب ذكرت امرأة أمام رسول الله ﷺ بأنها كثيرة الصلاة كثيرة الصيام غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها فقال : **«لا خير فيها هي من أهل النار»**.

فمن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في إيداع طعامه وشرابه (٢)، قال تعالى**{فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ}**(٣) فليس الإيمان الذي ينجي صاحبه يوم القيامة من عذاب الله هو الذي يؤديه صاحبه في صورة عبادات شكلية لا تحرك عاطفة ولا تمس وجدانا وما أكثر أعمال المنافقين المرائين التي تبدو في صورة عبادات لله لكن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لـه وابتغي به وجه قال تعالى**{فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً**

---

(١) رواه البزار.

(٢) حديث: صحيح.

(٣) سورة الماعون: ٤ - ٧.

صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً}[١] ولكن ما الإيمان الحقيقي الذي ينجي صاحبه يوم القيامة من نار وقودها الناس والحجارة ومن الزقوم والغسلين والحميم والسلاسل التي طول السلسلة منها سبعون ذراعاً ولو وضعت حلقة منها على جبال الدنيا لدكتها؟ نقول الإيمان: هو الاعتقاد بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان فأنت ترى وفقك الله إن الإيمان ينتظم أمورا ثلاثة: عمل بالقلب، عمل باللسان، عمل بالجوارح وبداهة أننا نقصد بالإيمان ما هو أعم من التصديق بالقلب فقط. والآيات القرآنية قد أدرجت في صفات المؤمنين الصلاة والزكاة وهي من أعمال الجوارح قال الله تعالى**{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ}** [٢] وقد قال الله تعالى**{الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}** [٣] ومعنى الاعتقاد بالجنان أي التصديق القلبي الذي ينعقد عليه الفؤاد ولا يدخله ريب ولا شك بأن الله متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص وأنه ليس كمثله شيء وأنه سبحانه وتعالى واجب الوجود الأزلي الأبدي الواحد الأحد الذي لا شريك له في ذاته ولا في صفاته وأنه - عز وجل - أرسل الرسل وأنزل عليهم الكتب وأن له الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}** [٤].

ولقد سأل جبريل رسول الله ﷺ عن معني الإيمان فقال أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله إلخ فمن كان يؤمن بذلك ولم يرتب ولم يشك فقد حقق الجزء الأول من تعريف الإيمان وهو الاعتقاد بالجنان قال تعالى**{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}** ومعنى

---

(١) سورة الكهف: ١١٠.

(١) سورة المؤمنون آية: (١- ٥).

(٢) سورة البقرة الآيات الأولي.

(٣) سورة البقرة: الآيات الأخيرة.

الإقرار باللسان أن يعلن اللسان عن هذه العقيدة التي تملأ جناياه أمناً وسكينة ولذلك كانت شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله شعار الإسلام فمن لم ينطق بكلمة الشهادة لا يعد مؤمنا قال تعالى**{قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ له مُسْلِمُونَ}** [١].

ويوصي رسول الله ﷺ بعض السائلين لـه فيقول لـه : **«قل آمنت بالله ثم استقم»** ومن دعاء المؤمنين**{رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}** ومعنى العمل بالأركان أي: الإتيان بالعبادات العملية من صلاة وصيام وصدقة وحج وجهاد في سبيل الله**{فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً}**[٢]، والعمل الصالح هو ما كان وفق ما شرع الله - عز وجل - وما سنه رسول الله ﷺ فلا مجال لبدعة ولا قبول لعمل المبتدعين؛ لأن في هذا استدراكا على الله وعلى رسول الله وقد قال تعالى**{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً}** [٣]، فمن زاد في شرع الله ما ليس منه وعبد الله بما لم يشرعه لعبادته كان عمله هذا منافيا لكمال الدين وتمام النعمة ومتي تحققت هذه العناصر الثلاثة تحقق بها ومعها المفهوم الصحيح لمعني الإيمان وإن اختل ركن منها فلا إيمان فلا إيمان، فإذا اختل العنصر الأول وهو " والاعتقاد بالجان " كان صاحبه منافقا، فالمنافق يقر بلسانه ويعمل بجوارحه ولكن قلبه خالي من العقيدة الصحيحة قال تعالى عن المنافقين**{وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ}**[٤] ففي هذه الآية وصفهم بأنهم ينطقون بكلمة الإيمان، وهو الركن الثاني، وقال عنهم - أيضا - وإذا قاموا إلي الصلاة قاموا كسالي، فقد وصفهم بأنهم يصلون وهذا هو الركن الثالث، ولكن الركن الأول مفقود قال تعالى**{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا**

---

(٤) سورة البقرة آية: ١٣٦.

(١) سورة الكهف آية: ١١٠.

(٢) سورة المائدة آية: ٣٨.

(٤) سورة البقرة أية: ١٤.

هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} (١) فهم يظهرون خلاف ما يبطنون، وإذا اختل الركن الثالث وهو العمل بالأركان كان ذلك فسقاً من هذا العرض لمفهوم معني الإيمان بمعناه الواسع والذي ينتظم الأمور الثلاثة يتبين لك أن الذي يخل بركن من هذه الأركان الثلاثة لا يكون مؤمنا فهو إما منافق، وإما كافر وإما فاسق ونعوذ بالله من ذلك.

أثر الإيمان:

ما أشبه الإيمان بالشرارة الكهربية التي تكمن في الأسلاك فبمجرد الضغط على الزر يتوهج المصباح في النور وفي نفس اللحظة فسحرة فرعون كانوا في أول النهار سحرة فجرة وفي آخره كانوا شداء برزة، ذلك أنهم لما علموا أن عصا موسي ليست سحرا وإنما هي معجزة لـه - عليه السلام - كانوا أول المؤمنين قال تعالى**{فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هارُونَ وَمُوسَى}** (٢)، وهم الذين قد حلفوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون، ثم انظر كيف أعطاهم الإيمان بالله تعالى العزة والقوة فهو سبحانه القوي العزيز، وكيف أنهم قابلوا تهديد فرعون بأنه سيقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وسوف يصلبهم في جذوع النخل - انظر كيف قابلوا هذا التهديد - إنهم قابلوه بمنتهي التحدي**{فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الحَيَاةَ الدُّنْيَا}{إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}** (٣)، ما سر هذه القوة؟ ما سر هذا التحول الخطير الذي انفرج بمقدار ١٨٠° إنه الإيمان بالله تعالى، ويوم أن كان أبناؤنا على ضفاف قناة السويس يكبرون وهم صائمون يومها حطموا أسطورة الجيش الذي لا يقهر صاحب الذراع الطويلة وهذا خير شاهد على أثر الإيمان في صنع الإنسان الصالح وهو النبتة والخلية في صرح المجتمع القوي الذي يرهب عدو الله وعدونا وتاريخ صدر الإسلام حافل بأمثال هؤلاء المؤمنين الصادقين، وما خبر بلال وعمار وياسر وسمية بخافٍ على أحدٍ، ومن هذا المنطلق فإني أتهم الذين يهمشون دور الدين في

---

(١) سورة البقرة الآيتان: ٨، ٩.
(٢) سورة طه آية: ٧٠.
(٣) سورة طه آية: ٧٢، ٧٣.

الحياة ويرونـه علاقـة شخصية بين العبد وربـه دون أن يحكموه فيما شجر بينهم من خلاف أقوال.

إني أتهم هؤلاء بالعمالة، والخيانة لأوطانهم وبني جنسهم فضلاً عن أنهم مخالفون لأمر ربهم وسنة نبيهم ﷺ فالدين جاء لإصلاح الدنيا والآخرة**{قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ}** [1]، ليس في الإسلام فصل بين ما هو للدنيا وبين ما هو للآخرة، إن المباحات من الطعام والشراب والشهوة تنقلب بالنية الصادقة إلي أعمال تنفع صاحبها يوم القيامة يقول النبي ﷺ : **«وفي بضع أحدكم صدقة»** ويسأل أحد الصحابة فيقول يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ولـه في ذلك أجر؟ فيقول لـه الرسول الكريم ما معناه : **«أرأيت إن وضعها في الحرام أكان عليه وزر؟ »** ويقول الرجل: نعم يا رسول الله، فيقول المعصوم ﷺ : **«فهذا إذا له أجر»**.

من آثار الإيمان في الفرد الذي هو خلية المجتمع الأولي:

١- يعطي الإيمان الحق صاحبه العزة والكرامة فرأس المؤمن لا تنحني إلا لله تبارك وتعالى؛ لأن عزته مستمدة من عزة الله تبارك وتعالى**{وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}** [2]، لأن المؤمن يعتقد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه وأن الأمة لو اجتمعت على أن يضروه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه جفت الأقلام وطويت الصحف، وإذا كان الله معك فممن تخاف؟ ذلك بأن الله تعالى مولي الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولي لهم، لما هاجر المسلمون إلي الحبشة أرادت قريش أن تستعيدهم فأرسلت عمرو بن العاص - قبل أن يسلم - وأرسلت معه الهدايا والتحف للنجاشي ولحاشيته وبطارقته، وعزم عمرو أن يكيد لهم عند النجاشي بما يستأصل به خضراءهم - كما قال - فأوغر صدر النجاشي عليهم فإنهم يستكبرون أن يسجدوا لـه - وكانت تلك عادة الأحباش - ولما جيء بهم لم يسجدوا فعلاً وسألهم النجاشي - عليه رحمة الله - عن سر عدم تحيته بالسجود قال جعفر بن أبي طالب - وكان المتحدث باسمهم -: إنا لا نسجد

---

(١) سورة الأنعام آية: ١٦١.

(٢) سورة المنافقون آية: ٨.

إلا لله قالها بكل العزة والثقة في نصر الله تعالى، ولو أن إنسانا آخر لم يخالط الإيمان بشاشة قلبه لطلب من إخوانه أن يفوتوا الفرصة على عمرو وطلب من زملائه أن يرضوا غرور النجاشي بانحنائة خفيفة ولكنهم مؤمنون طبعهم الإيمان على العزة والكرامة، وما كانوا ليسجدوا للنجاشي ولا لغيره وإلا ففيم الهجرة والبعد عن الأهل والوطن؟ إنها عزة المؤمن وكفى.

دخل ربعي بن عامر مبعوث سعد بن أبي وقاص على رستم قائد الفرس وهو على عرشه وفرشه وبين جنوده وقواده، وخدمه فلم يخف ولم يرتجف، ولم تتحرك فيه شعرة واحدة، ولم يتنازل عن عزة إيمانه، وسأله رستم: من أنتم؟ قال نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلي عدل الإسلام.

ومما زادني شرفا وتيها ::: وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي ::: وأن صيرت أحمد لي نبيا

وعزة المؤمن هذه ليست عزة مبعثها الغرور والكبرياء ولكنها عزة مبعثها الإيمان الكامل بأن الإقدام لا ينقص العمر، وإن الإحجام لا يزيده.

فمن لم يمت بالسيف مات بغيره - تعددت الأسباب والموت واحد.

وقد عبر الإمام على - رضي الله عنه - عن هذا المعني أبلغ تعبير حين قال:

أي يومي من الموت أفر ::: يوم لا يقدر أو يوم قدر
يوم لا يقدر لا أرهبه ::: ومن المقدور لا ينجي الجذر

فالمؤمن إذا لا يفرط في ذرة من إيمانه جريا وراء أيام تطيل عمره من وجهة نظر المرجفين والخائفين، والمؤمن - كذلك - لا يضحي بعزته سعيا وراء مكسب مادي لأنه يعلم أن رزقه في السماء**{وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ}** (1) يقول النبي صلى الله على وسلم: **«من تضعضع لغني**

(1) سورة الذاريات آية: ٢٢، ٢٣.

لينال مما في يده فقد أسخط الله تعالى» والله تعالى يقول في معني حديث قدسي: **«يا ابن آدم لا تخف من ذي سلطان ما دام سلطاني باقيا وسلطاني لا يزول أبدا، يا ابن آدم لا تخف من ضيق الرزق فخزائني ملأي، وخزائني لا تنفذ أبدا، يا ابن آدم خلقتك من أجلي، وخلقت الأشياء من أجلك فلا تشغل نفسك بما خلق من أجلك عمن خلقت من أجله. »** إلخ.

وحينما وقع عبد الله بن حذافة السهمي هو وأفراد ممن كانوا معه في يد الروم استعمل معه ملك الروم التهديد والوعيد ليصرفه وقال له: تَنْصَّرْ وأزوجك ابنتي وأعطيك شطر ملكي فقال له لا أفعل، وافعل ما بدا لك، فقال له تنصر وإلا ألقيتك في الزيت المغلي فقال له: لا أفعل، وافعل ما بدا لك، فقال له: قبل رأسي وأطلق سراحك وسراح أصحابك فقال له: أما هذه فنعم وقبل رأسه، ولما علم بذلك بعض المسلمين قالوا له: قبلت رأس علج ولكن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قام وقبل رأس عبد الله؛ لأنها قبلة تسببت في إطلاق سراح عبد الله ومن كان معه.

٢- الإيمان يعطي صاحبه سكينة النفس وطمأنينة القلب، وراحة البال فالمؤمن عليه أن يباشر عمله، ويؤديه على قدر استطاعته تاركا نتيجة هذا العمل لله وحده.

على المرء أن يسعي إلي الخير جهده ::: وليس عليه أن تتم المقاصد

فهو يحصر همه في شيء واحد هو إرضاء الله - عز وجل - بعمله وعندئذ لا بأس على ما فاته لأنه لا يعود، وقد يكون في عدم إدراكه خير، ولا يفرح بما أوتيه فقد يكون في إعطائه شر، وصدق ربنا عز وجل إذ يقول**{لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ}** (١) وقال تعالى**{وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}** (١) أما هؤلاء الذي يلهون وراء الدنيا، ويتراكضون وراء سرابها الخادع من الماء والجاه والمنصب فهم لا يشبعون أبدا فكل

---

(١) سورة الحديد أية ٢٣.

(١) سورة البقرة أية ٢١٦.

منصب فوقه منصب، وكل ألف فوقه ألوف **«ولو كان لابن أدم واد من ذهب لتمني أن يكون إليه ثان ولو كان إليه ثان لتمني أن يكون إليهما ثالث ولا يملأ جوف ابن أدم إلا التراب»**، ومثله كمثل من يشرب من ماء البحر الملح كلما ازداد شربا ازداد عطشا إن الجسم يستمد غذاءه من الأرض التي خلق منها ولكن غذاء الروح يستمد من الله تعالى من النفحة الإلهية، من القبسة النورانية.

قال ابن القيم: في القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله تعالى وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفة الله، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه، وفيه نيران حسرة لا يطفئها إلا الرضا بأمره وفيه فاقة لا يسدها إلي محبة الله والإنابة إليه.

إن الإيمان بالله يجعل صاحبه في جلاء بصري وقلبي يكشف لـه عن هذا الوجود قال بعضهم: رأيت الجنة والنار حقيقة فقيل لـه كيف رأيتهما وأنت في الدنيا فقال رآهما رسول الله ﷺ بعينه ليلة الإسراء والمعراج فرأيتهما بعينه، رؤيتي لهما بعيني ورسول أثر عندي من رؤيتي لهما بعيني، فإن بصري قد يزيغ لكن بصر رسول الله ﷺ لا يزيغ**{مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى}** [(١)]، هذا هو المؤمن الواثق بما عند الله، المطمئن إلي قضاء الله وقدره أما غير المؤمن فإنه يعبد الله على حرف فإنه أصابه خبر اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين، إذا فشل في التودد إلي فتاته التي يعشقها فإن الدنيا تقوم ولا تقعد وإذا دخلت الكرة في شبكة فريقه الذي يشجعه فهناك ارتفاع ضغط الدم، وإذا أصابه ألم فهناك السخط على قدرة الله.

كريشـه في مهبط الريح طائرة ::: لا تستقر على حال من القلق

إن الحياة من وجهة نظره طلاسم تحتاج إلي حل أو ألغاز تحتاج إلي من يحل رموزها واقرأ قصيدة الطلاسم التي تعبر عن هذا الفريق ومنها:

---

(١) سورة النجم أية ١٧، ١٨.

جئـــت لا أعلــم مـــن أيـــن ولكنـــي أتيـــت

ولقـــد أبصـــرت قـــدامي طريقـــا فمشـــيت

ومـــا بقـــي ســـائرا إن شـــئت هـــذا أم أبيـــت كيـــف

جئـــت كيـــف أبصـــرت طريقـــي لســـت أدري

أما المؤمن الحق فهو الذي يملك الإجابة عن هذه الأسئلة المحيرة إنه جاء بقدر الله وسوف يرحل بقدر الله، وحياته التي بين مجيئه ورحيله يقضيها في عبادة الله**{وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ}** (١)، وما أجمل أن تردد مع الشاعر العربي موجهين هذا الحديث إلي الله - عز وجل -.

فليتـــك تحلـــو والحيـــاة مريـــرة ::: وليتـــك ترضـــي والأنـــام غضـــاب
وليـــت الـــذي بينـــي وبينـــك عـــامر ::: وبينـــي وبـــين العـــالمين خـــراب
إذا صـــح منـــك الـــود فالكـــل هـــين ::: وكـــل الـــذي فـــوق التـــراب تـــراب

هذه هى الغاية التى يتوخاها المؤمن، وتجعله لا يبالى بالصعاب ولا بالشدائد في سبيل تحقيقها، هذا خبيب بن زيد وهو يقوم إلي القتل، وأعداؤه من حوله ساخرون شامتون لا يضطرب، وهو يري مصيره معلقا بيد السياف، وسيفه يبرق ويلمع تحت بريق الشمس، وكأنه ذاهب إلي معياد طال انتظاره اليس هو القائل:

ولســت أبـــالي حـــين أقتـــل مســـلما ::: على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلـــك فـــي ذات الإلـــه وإن يشـــأ ::: يبـــارك علـــى أوصـــال شـــلو ممـــزع

كان أحدهم يقبل على المعركة، وهو حريص على أن ينال الشهادة، ويتلو قول الله تعالى:**{وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}** (٢)، فإذا أصابه السهم، أو نال منه الرمح قال بأعلى صوته: فزت ورب الكعبة، وفي معركة الأحزاب صور القرآن الكريم نفوس المؤمنون ونفوس المنافقين إزاء الجمع الحاشد من الأحزاب، فأما المؤمنين فيقول القرآن عنهم**{هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً * مِنَ**

---

(١) سورة الذاريات آية: ٥٦، ٥٧.

(٢) سورة طه آية: ٨٤.

الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً} [1] والفرق بين المقولتين هو الفرق بين الإيمان والنفاق.

إن قلبـــا أنـــت ســـاكنه ::: غيـــر محتـــاج إلـــي الســـرج
وجهـــك المـــأمول حجتنـــا ::: يـــوم يـــأتي النـــاس بـــالحجج

فالإيمان يجعل صاحبه في وقت الشدة لا يخرج عن رضائه وطمأنيته لأنه يعلم أنه بين حالين: إن أصابته سراء شكر فكان خير لـه، وإن أصابته ضراء فكان خيرا لـه، إنه يرى المحنة منحة، والبلية عطية، أرأيت إلى الذهب حين يدخل النار وحين يخرج منها؟ إنه يخرج أصفي وأنقي، لقد تخلص من الخبث الذي يخالط جوهره، لقد طهرته النار، واقرأ معي هذه الكلمات ذات المدلول الرائع التي تصور هذا المعني تصويرا دقيقا، والتي جاءت على لسان الأديب الإسلامي مصطفي صادق الرافعي إنه يقول " ما أشبه النكبة بالبيضة تحسب سجنا لما فيها، وهي تحوطه وتربيه وتعينه على تمامه، وليس عليه إلا الصبر إلي مدة، والرضا إلي غاية ثم تنقف " تفقس " البيضة فيخرج خلق آخر وما المؤمن في حياته إلي كالفرخ في بيضته، عمله أن يتكون فيها، وتمامه أن ينبثق شخصه الكامل فيخرج إلي عالمه الكامل.

٣ - الإيمان هو الذي يلون الحياة في نظره بلونها الطبيعي فيجعل لها طعما غير الطعم الذي تعارف عليه الماديون فإذا كانت الدنيا سيجارة وكأسا، ودفتر شيكات وعربه فارهة وغانية حسناء يرقد إلي جوارها طالب الدنيا في فراش وثبر فإن المؤمن لـه غاية أسمي وأجل إنه يعيش لله لا يري في الوجود إلا هو إنه ينظر إلي المتعة الجسدية فيقول لها:

لســت لــي يــا بنــت هــذا الغســق ::: لســت لــي يــا عثــرة المنطلــق
أنـــت طـــين وظـــلام وهـــوي ::: وأنـــا مـــن نبـــع هـــذا الألـــق

من أجل الدنيا وجدنا أخا يقتل أخاه، وولدا يعق أمه وأباه، ومن أجل الدنيا وجدنا تاجرا يغش بضاعته، وعالما يزيف فتواه من أجل الدنيا تسفك الدماء، وتنتهك الحرمات

(١) سورة الأحزاب آية: ٢٣.

فحب الدنيا رأس كل خطيئـه، ولا أمـان إلا فـي ظـلال العقيـدة، ولا أمـن إلا فـي رحـاب الإيمان.

إذا الإيمـــان ضـــاع فـــلا أمـــان ::: ولا دنيـــا لمـــن لـــم يحـــي دينـــا

تـروي السـيدة أم سـلمة أم المـؤمنين - رضـي الله عنهـا - أن رجلـين اختصـما فـي ميراث وليس لأحداهما بينـه إلا دعـوي كل منهمـا أنـه صـاحب الحق ورفعـا الأمـر إلـي رسول الله ﷺ ولم يجد الرسول العظيم إلا أثر الإيمان يحركه في نفسيهما فقال لهما: إنما أنا بشر، وإنكم تحتكمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من الآخر فأقضي لـه على ما أسمع منه، فمن قضيت لـه من حق أخيه بشيء فلا يأخذ منه شيئا فإنما أقطع لـه قطعة من النار " وما إن قضي رسول الله ﷺ مقالته حتي بكي كل منهما وقال لصاحبه: حقي لك فقال النبي: أما إذا فعلتما ما فعلتما، فاقتسما، وتوخيا الحق ثم استهما " اقترعا " ثم تحالا أي ليسامح كل منكما الآخر، هذا هو الإيمان حينما يوظف توظيفاً طيباً إنه يحل المشكلات المستعصية وقص رسول الله ﷺ على أصحابه يوماً قصة رجلين مؤمنين فقال : **«اشترى رجل من رجل عقارا فوجد الرجل الذي اشتري العقار في عقاره جرة مملوءة ذهبا فقال للذي اشتري العقار منه: خذ ذهبك عني – إنما اشتريت منك الأرض، ولم ابتع الذهب، فقال الآخر: إنما بعتك الأرض وما فيها، فقال الرسول ﷺ فتحاكما إلي رجل فقال الذي تحكاما إليه: ألكما ولد؟ فقال أحدهما: لي غلام وقال الآخر: لي جارية فقا ل: زوجوا الغلام للجارية وأنفقوا على أنفسكم منه، وتصدقا»** هل رأيت أو هـل سـمعت قضـية تعـرض علـى القضـاء أعجـب مـن هـذه القضـية اثنـان يختصـمان ويتحاكمان لا من أجل أخذ الذهب بل من أجل أن يأخذ الآخر الذهب كيف يفسر الماديون ذلك؟ إنهم سيقولون إنهمـا أحمقـان! هل هنـاك مـن يكره أخذ الـذهب وأقول بـل إنهمـا مؤمنان، وما فعلاه هو الأثر الحقيقي للإيمان الصادق.

٤ - إن الإيمـان الحق يخلـق فـي أعمـاق المسلم محكمـة عادلـة، تراقب أدق مراقبـة وتحاسـب أعسـر حسـاب، وتحكم أحكم عدل، وتنفذ أضـمن تنفيذ دون تـدخل قـانون أو شـرطه، إنـه الإيمـان بـالله، والخـوف مـن عقابـه، والرجـاء فـي جنتـه وثوابـه يغنـي عـن

المحامين والشهود فمحكمة النفس اللوامة تغني عن هؤلاء وأولئك، ولعلكم تذكرون قصة بائعة اللبن التي قالت لابنتها: قومي يا بنتي فاخلطي اللبن بالماء فقالت البنت إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نهي ذلك، وأمر مناديه أن ينادي في الأسواق ألا تخلطوا اللبن بالماء فقالت الأم: وأين أمير المؤمنين منا الآن؟ فقالت البنت: إذا كان أمير المؤمنين لا يرانا فإن رب أمير المؤمين يرانا، وتذكرون - كذلك - قصة " ماعز " الذي ذهب إلي رسول الله ﷺ وطلب منه أن يقيم عليه حد الزني، وهو يعلم أن هذا الحد هو الرجم بالحجارة حتي الموت فقد كان محصنا، ويحاول رسول الله مع ماعز أن يصرفه عن هذا الإقرار فيقول لـه: **«لعلك فاخذت لعلك قبلت»** ويصر الرجل على أنه ارتكب الزني، ولم يتقدم أحد ضده ببلاغ أو شكوي، ولكن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة.

وتأتي "الغامدية " وقد حملت سفاحا وتطلب من رسول الله ﷺ أن يطهرها من الزني فيمهلها حتي تلد، ثم يعطيها مهلة أخري حتي تفطم وليدها، ولم تحاول المرأة الفرار، أو الرجوع عن هذا الإقرار طوال ثلاثين شهرا، وبعد أن يقيم عليها الحد يقول ﷺ : **«لقد تابت توبة لو وزعت على سبعين من أهل المدينة لوسعتهم»** وهل هناك توبة أفضل من توبتها وقد جاءت بنفسها في سبيل الله هل تجد لكثير من رجال اليوم عزيمة كعزيمة هذه المرأة المؤمنة؟ إن المؤمن الحق يتميز على سائر الناس كما يتميز الناس عن الفحم، والمسك عن الدم.

فــإن تفــق الأنــام وأنــت مــنهم ::: فــإن المســك بعــض دم الغــزال

وتعالوا بنا لنقترب من عالم المال، عالم التجارة لنتعرف على دور الإيمان في عمل التاجر المؤمن، إن كان بعض الناس يظن إن التجارة " شطارة " وفهلوة، وأن التاجر الحق هو الذي يستولي على ما في محفظة " الزبون " محققا أعلى ربح ممكن فإن التاجر المؤمن "يونس بن عبيد" كان عنده حلل مختلفة الأثمان منها ضرب قيمة كل حلة منه بأربعمائة درهم، وضرب قيمة كل حلة منه بمائتي درهم، وذهب لآداء الصلاة - فالتجار المؤمنون لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وترك ابن اخيه في الدكان، فجاء أعرابي

وطلب حلة فاشتراها بأربعمائة درهم ومشي بها وهي على يديه، فاستقبله يونس فعرف حلته فقال لأعرابي بكم اشتريت هذه الحلة؟ فقال: بأربعمائة فقال يونس: لكنها لا تساوي أكثر من مائتين، ارجع حتي تردها فقال الأعربي، هذه في بلدنا تساوي خمسمائة وأنا ارتضيتها فقال له، انصرف معي فإن النصح في الدين خير من الدنيا وما فيها ثم رده إلي الدكان ورد عليه مائتي درهم، وخاصم ابن أخيه، وقال له: أما استحيت؟ أما اتقيت الله؟ تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين فقال ابن أخيه والله ما أخذها إلا وهو راض بها فقال له: فهلا رضيت له ما ترضاه لنفسك. هؤلاء تجار ليس هدفهم الربح بأي بيع ومن أي سبيل! إنهم مؤمنون يخافون الله تعالى وشعارهم قول الرسول الكريم لصاحب الطعام الذي أصابته السماء: هلا جعلته ظاهرا حتي يراه الناس من غشنا فليس منا ... وبعد فهل عودة إلي الإيمان الذي كان عليه سلفا الصالح لننعم بحياة طيبة في الدنيا والآخرة.

* * * * *

حلاوة الإيمان أخطاء من هنا

ما يزال حديثنا موصولاً حول الإيمان، وتعالوا أيها الأخوة الأحباب نصل إلي جوهر الإيمان ولبه، لنتذوق حلاوته، ولعل الماديين يظنون أننا جاوزنا الحقيقة إلي المجاز في اختيار هذا العنوان، ولكني أقول إن هذا التعبير استعرته من رسول الله - ﷺ - حيث جاء في حديث رواه الإمام البخاري، ورسول الله لا ينطق عن الهوي إن هو إلا وحي يوحي وأقول - كذلك - نعم إن للإيمان حلاوة، ومن ذاق عرف ومن حرم أنكر، إن صاحب الأنف المزكوم لا يجد رائحة الوردة الفواحة الشذي، ولكن:

وما ضر الورود وما إليها ::: إذا المذكوم لم يطعم شذاها
وإن صاحب الذوق السقيم ::: لا يحس بعذوبة الماء
ومن يك ذا فم مر مريض ::: يجدا مرا به الماء الزلالا

كيف استطاع يعقوب أن يجد ريح ابنه يوسف حينما فصلت العير من أرض مصر**{وَلَمَّا فَصَلَتِ العِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ}** (1) ثم كيف يفسرون ارتداء يعقوب بصيرا حينما وضع قميص ابنه على عينه**{فَلَمَّا أَن جَاءَ البَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً}** (2) وهل سمعتم تلوث البيئة بالمعاصي؟ ما زلنا نسمع ونقرأ عن تلوث البيئة بروائح القاذورات التي تزكم الأنوف ولكننا لم نسمع عن تلوث البيئة بأنفاس العصاة، قال رجل مؤمن لابنه: قم يا بني نستنشق أنفاس الصباح قبل أن تلوثه أنفاس العصاة، وما زلت أذكر أن أحد أساتذتي في الأزهر الشريف كان يخرج بعض التلاميذ من الفصل قبل أن يبدأ درسه، ولما سئل هذا التلميذ عن سبب ذلك قال إنه حضر وهو جنب فلم يتمكن من الاغتسال قبل الحضور إلي المعهد تعالوا بنا نتذوق حلاوة الإيمان من خلال دراستنا لحديث رواه البخاري عن أنس بن مالك - رضي الله عنه وأرضاه - قال: قال رسول الله ﷺ : «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر**

(1) سورة يوسف آية: ٩٤.
(2) سورة يوسف آية: ٩٦.

كما يكره أن يقذف في النار».

التعريف براوي الحديث:

هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم، كنيته أبو حمزة، خادم رسول الله ﷺ يقول خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط، وما قال لشيء صنعته لم صنعته؟ ولا لشيء تركته لم تركته؟ سمى باسم عمه أنس بن النصر الذي نزل فيه وفي أمثاله من إخوانه المؤمنين المجاهدين قولـه تعالى**{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً}** [1] وقد استنشق عبير الجنة آتيا من مكان مصره إلي جوار أحد في معركة أحد حيث قال: واها لريح الجنة إني لأجد ريحها يأتيني من ناحية أحد، ولقي ربه وجراحات السهام والسنان تضرج جسده الطاهر بلون العقيق والأرجوان، حتي إن معالم وجهه تختفي وما عرفته إلا أختـه، رضوان الله عليهم أجمعين، وأم أنس هي السيدة الصابرة المحتسبة السيدة أم سليم جاءت بابنها أنس إلي رسول الله وقالت: يا رسول الله: خويدمك أنس ادع الله لـه، ورسول الله مستجاب الدعوة فدعا فدعا لـه وقال: **«اللهم بارك له في ماله وولده، وأطل عمره، واغفر ذنبه»**، واستجاب الله دعوة رسوله ﷺ لأنس فبارك لـه في مالـه، حي كان لـه بستان يحمل في العام مرتين على عكس بساتين الدنيا كلها، وكان لـه فيه ريحان تشم منه رائحة المسك وبارك لـه في أولاده حتي فى ولده وولد ولده مائة وعشرون ولدا، ٣٨ أنجب ثمانين رجلا وامرأتين، وبورك لـه في عمره حتي روي أنه عاش مائة وعشرين سنة وقال: بقيت حتي سئمت من الحياة وأنا أرجو الرابعة يقصد دعوة الرسول لـه بمغفرة الذنب، وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة.

والحديث الشريف بوجه عام يبين ثلاث خصال إذا حققها الإنسان في نفسه شعر بحلاوة الإيمان، فيتمسك به، ويدافع عنه، ويعمل على أن يطبع سلوكه وتصرفاته بطابعة.

---

(١) سورة الأحزاب آية: ٢٣.

الخصلة الأولي: أن يكون حب الله ورسوله محمد ﷺ مقدما على حبه لنفسه وماله وولده والناس أجمعين، بحيث لو تعارض في حب الله أو حب رسوله مع النفس أو المال فإنه يتجاوز بدون تفكير إلي تفضيل حب الله وحب رسوله.

والخصلة الثانية: أن يحب أخاه المؤمن في الله لله لا لدينا ولا لهوي ولا لمصلحة، ولا لنسب أو مصاهرة وهو حب لا يزيد بالعطاء ولا ينقص بالجفاء.

والخصلة الثالثة: أن يتمسك بدينه، ويكره أن يدخل في الكفر كما يكره أن يقذف في النار، فمتي تحققت هذه الخصال في المؤمن فإنه يشعر بحلاوة الإيمان.

الخصلة الأولي: حب الله وحب رسوله

ونأتي إلي معني الحب: فنقول إنه الميل القلبي إلي المحبوب، وعلى هذا يكون الكره هو انصراف القلب عن المكروه، والحب قد يكون سببه الحس أو العقل أو القلب فالإنسان حين يتذوق الشيء الحلو يستلذه، ويميل إليه بسب تذوقه لحلاوته ويسمع الصوت الندي من قارئ يرتل آيات القرآن، أو مؤذن عذب الصوت أوضي طائر يغرد فإنه يحب هذا الصوت ويميل إليه، ويشم رائحة الوردة فيحس ميل قلبه إليها. وهكذا فهذا الحب سببه الحواس، وهناك حب آخر سببه العقل فالإنسان يحب ابنه وقد يكون دميم الخلقة ولكنه لا يستطيع إلا أن يحبه لأنه يري بعقله أن حياته أخذت بعدا أعمق بحياة هذا الابن، وقد يسيء الابن إلي أبيه، ولكنه سرعان ما ينسي الإساءة ويعفو ويغفر ولا يتخلى عن حب ابنه، والحب الحسى أدنى النوعين فإذا ذبلت الوردة انصرف عنها القلب، وإذا تحشرج الصوت فإن الإذن تنفر منه، ولكن احب العقلي هو الحب الدائم الباقي والحب الحسي يتشرك الإنسان فيه مع البهائم التي تميل إلي الطعام والشراب واللذة الحسية الجسدية، لكن الحب العقلي يختص به الإنسان، وهناك حديث من أحاديث رسول الله ﷺ - جمع بين الحبيبين يقول النبي: **«حبب إلي ديناكم ثلاث الطيب، النساء، وجلعت قرة عيني في الصلاة»**، فحب الطيب والنساء حب حسي أما حب الصلاة فحب عقلي لأن المؤمن يوازن بني مناجاته لله في صلاته وبين جميع المحبوبات الأخرى، فيفضل ما يبقي على ما يفني، فلو كانت الدنيا جوهرة تفنى، والآخرة خزفة تبقى لكان على العاقل

أن يفضل ما يبقى على ما يفنى، فكيف الأمر بالعكس فالآخرة جوهرة باقية، والدنيا خزفة فانية ولذلك قال النبي : «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**» فهو ﷺ - يجد السعادة كل السعادة في وقوفه بين يدي ربه – عز و جل - يؤدي الصلاة.

ولست أري السعادة جمع مال ::: ولكن التقي هو السعيد

وحب الله وحب رسول الله فرض على كل مسلم ومسلمة، ولا يتصور أن يكره المؤمن ربه ولا رسوله**{قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ}**[١].

وحب هذه الأشياء المذكورة في الآية الكريمة أمر فطري، والإسلام دين الفطرة فليس في حبها ما يتنافي مع الإيمان ولكن حينما يطغي هذا الحب ويتعارض مع حب الله وحب رسول الله ﷺ فإن هذا الحب ينقلب إلي عداوة**{إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُواًّ لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ}** [٢]**{الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ}** [٣] ولذلك جاء التعبير النبوي في الحديث الشريف باسم التفضيل " أحب " فحب الله وحب رسوله مقدمان على حب الأشياء الأخرى، ولكن لماذا نحب الله؟ والجواب:

نحب الله لأنه أحبنا قبل أن نحبه، ومن أسمائه تعالى " الودود " أي كثير الود والحب لعباده، وحينما غضبت السماء والأرض والجبال والبحار على ابن آدم العاصي وطلبت السماء أن يأذن لها ربها في أن تسقط كسفاً على ابن آدم لأنه طعم خير الله وجحد شكره، وطلبت الأرض أن تخسف به، وطلبت البحار أن تغرقه قال الله تعالى " لو خلقتموه لرحمتموه " فنحن صنعة الله، من الذي جعل من النطفة المذرة صورة حسنة؟ إنه الله تعالى الودود، وفي معني الحديث القدسي: «**أنا الرحمن تسلم إلي نطفة مذرة أسلمها**

---

(١) سورة التوبة: ٢٤.

(٢) سورة التغابن آية: ١٤.

(٣) سورة الزخرف آية: ٦٧.

إليك صورة حسنة»، من الذي رعانا في ظلماك ثلاث؟ من الذي هيأ لنا السبيل للخروج من بطن الأم، من الذي أخرج لنا من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين؟ إن الله قد استضافنا في كونه، وهيأه لنا قبل أن نأتي إليه من مجري الأفلاك في السماء إلي مسح الأسماك في جوف الماء، من الذي أجري لنا الماء وخلق لنا الهواء وهما قوام حياتنا وجعلهما مشاعاً بيننا؟ آه لو أن دولة ما استطاعت أن تحتكر الهواء ولو لمدة دقائق معدود إذا لمات الناس، وتلاشت الكائنات واضطرب نظام هذا الكون، فاللهم حمدا وشكرا، يقول النبي ﷺ : **«احبوا الله لما يغذوكم من نعمة وأحبوني لحب الله إياي»** وفي الحديث القدسي: **«يا بن آدم أنا لك محب فحقي عليك كن لي محبا»**.

٢- من مظاهر حب الله لعباده: أنه - عز وجل - شعر التوبة لعبادة المؤمنين ولم يؤاخذهم بالعذاب فور اقترافهم المعاصي**{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى}** [١] فإذا تاب العبد كان كمن لا ذنب له، بل إذا أحدث العبد توبه كلما تذكر المعصية لكانت هذه المعصية سببا في تبديل سيئاته حسنات، وعندئذ يقول الشيطان - بحق - يلتني ما أغريته بهذه المعصية، والله يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، وينزل - عز وجل - كل ليلة إلي السماء الدنيا فيقول: **«هل من مستغفر فاغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ قال النبي ﷺ لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم كان معه ناقة عليها طعامه وشرابه في أرض مهلكة فنام نومه ثم استيقظ فلم يجد الناقة فصار يطلبها في كل مكان فلم يجدها، ولما يئس من العثور عليها قال أرجع إلي مكاني الذي كنت فيه فأموت، ولما رجع نام نومة ثم استيقظ فإذا استيقظ ناقتة أمامه عليها طعامه وشرابه فقال: اللهم لك الحمد أنت عبدي وأنا ربك يريد أن يقول " أنت ربي وأنا عبدك " ولكن من شدة فرحة قال ما قال»**.

---

(١) سورة النحل آية: ٦١.

٣- من مظاهر رحمة الله تعالى، مضاعفة الحسنات فالحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها**{مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا}**(١) بل الحسنة تكون بسبعمائة ضعف،**{مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ}** (٢) بل أن الحسنة - أيضا يكون ثوابها مثل جبل أحد إن العبد إذا تصدق بصدقة طيبة، ولا يقبل الله إلا طيبا فيقبلها الله بيمينه وكلتا يديه يمين، فيربيها له كما يربي أحدكم فلوه " ابن الحصان الصغير " حتي تكون مثل جبل أحد، بل أجر الصابرين بغير حساب قال تعالى**{إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ}** (٣)، تأمل أخي المسلم في نفسك وفيما حولك وبالتأكيد سوف تجد مظاهر حب الله تعالى لك، ورحمته بك،**{أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ * أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّن يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}** (٤)، إذا تدبرت في هذه الآيات التي تحمل إليك مظاهر الود والحب والرحمة فإنك لا تملك إلا تهتف معي:

حبيبي ليس يعدله حبيب في علا شأنه
يبدل وحشتي أنا ويغمرني بحنان
ويدنيني وأن أبعد فلا أشقي بهجرانه
أحب الله من قلبي فيا سعدي بإيمانه
عجب لجاهل عاص يبارزه بعصيانه
ويسمع صوته الحاني يناديه بقرآنه
أنا التواب يا عبادي فيعرض من شقاوته

---

(١) سورة الأنعام آية: ١٦٠.
(٢) سورة البقرة آية: ٢٦١.
(٣) سورة الزمر آية: ١٠.
(٤) سورة النمل آية: ٦٠، ٦٤.

ومــــــن ترجـــــو لا حســـــانه يســـــكب مــــاء أجفانـــــه

هـذه بعـض مظـاهر حـب الله لعبـاده فمـا مظـاهر حـب العبـد لربـه؟

فنقول مظاهر حب العبد لربه:

١- طاعته - عز وجل - فلا يفتقدك حيث أمرك، ولا يراك حيث نهاك فهذا شأن المحب والمحبوب، أما أن نزعم أننا نحب الله - عز وجل - ونحن نخالف أمره فهذه دعوي تحتاج إلي دليل.

تعصـي الإلـه وأنـت تـزعم حبـه ::: هــذا لعمـري فـي القـال بـديع

لـو كـان حبـك صـادقا لأطعتـه ::: إن المحـب لمـن يحـب مطيـع

٢- وتعالوا بنا نستعرض من بعض آيات القرآن الكريم لنتعرف على أحباب الله لنحاول أن نكون منهم، وأن نعمل بعملهم، حتي نكون أهلا لثواب الله.

أ) قال تعالى**{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}**(١)، تبين الآية الكريمة - نوعين من أحبابه - عز وجل - إنه التوابون والمتطهرون ولا حظ كلمة " التوابين " وكيف جاءت على صيغة المبالغة، فكلما أذنب ذنبا أحدث بعدة توبة، فالتوبة تغسل الحوبة، وتمحوا الذنب، وتكفر الخطيئة**{إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ}** (٢)ولا يصح لمسلم ارتكب معصية أن يتمادي في ارتكاب معصية أخري بدعوي أنه سقط في مستنقع الإثم ولا أمل في الخروج منه، فإن باب التوبة مفتوح على مصراعيه، من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا، ومن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، ومن أتاني يمشي أتيته مهرولا، وإذا كان الشيطان قد توعد بني أدام أن يضلهم طالما كانت أرواحهم في أبدانهم، فإن الله - عز وجل - قد وعدهم أنه يغفر لهم طالما كانت أرواحهم في أبدانهم، فإن الله عز وجل - قد وعدهم أنه يغفر لهم طالما استغفروه - سبحانه - يا بن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا بن آدم إنك لو أتيتني بقراب "ملء "

---

(١) سورة البقرة ٢٢٢.

(٢) سورة هود ١١٤.

الأرض خطايا لأتيتك بقرابها مغفرة، وإذا كان الشيطان - لعنه الله - قد أعلن أمام الملأ الأعلى وأمام آدم، وأمام الله تعالى - أنه سوف يأتي ابن أدم من يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فإنه لن يجرؤ على أن يأتيه من ناحية الفوق أو من ناحية تحت وهاتان الجهتان هما جهتا الدعاء والسجود ويحب الله تعالى إلى جوار التوابين يحب المتطهرين ولعل الجمع بين التوبة والطهارة ما يشير إلي الطهارة الظاهرة والطهارة الباطنة ولقد سمع رسول الله ﷺ صوت بلال في الجنة، ولما سأل الرسول بلالا عن ذلك قال: **«إنه ما أحدث حدثا إلا توشأ، وما توضأ إلا صلى بوضوئه»**، والطهارة تغني طهارة البدن من الحدث الأصغر والأكبر، ومن النجاسة التي عليه وتعني طهارة الثوب وطهارة المكان، وطهارة القلب من الغل والحقد والكبر والحسد، كان رسول الله ﷺ - جالسا مع أصحابه فقال لهم: **«يطلع عليكم من هذه الناحية رجل من أهل الجنة، فطلع رجل تقطر لحيته من أثر الوضوء»** وتكرر ذلك عدة مرات " فأراد رجل من الجالسين أن يعرف سر هذا الإنسان وكيف بلغ هذه المنزلة " وفي ذلك فليتنافس المتنافسون " فتبعة إلي بيته ونزل عليه ضيفا، فلم ير له كثير صلاة ولا كثير تلاوة، ولما أخبره بما قاله عنه وأنه يريد أن يتعرف على سبب هذه المنزلة قال: هو على ما تري أني أبيت وليس في قلبي غل لأحد.

ب) قال تعالى:**{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفاًّ كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ}** فالقتال في سبيل الله، سبب لحب الله تبارك وتعالى، وتفيض آيات القرآن في الدعوة إلي القتال في سبيل الله، ويعد على ذلك بالفوز العظيم، والنعيم المقيم في جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، إنه التجارة التي لن تبور**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ}** (١)، غير أن هذا الثواب للذي يقاتل

---

(١) سورة الصف ١٠ - ١٢.

لإعلاء كلمة الله لا لحمية ولا لعصبيه{**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**} [(١)]، هذا عمير بن الحمام يدخل المعركة وفي يده بضع تمرات كن في يديه، ولما سمع رسول الله ﷺ يحرض المؤمنين على القتال، وأنه لا يقاتلهم اليوم رجل صابرٌ محتسبٌ مقبلٌ غير مدبر إلا دخل الجنة، فنظر إلي هذه التمرات وقال، أما بيني وبين دخول الجنة إلا أن أعيش حتي أكل هذه الثمرات فالقي بهن بعيد وهو يقول: إنه لعمر طويل إذا ودخل ساحة القتال وهو يهدر.

ركضـا إلـي الله بغيـر زاد ::: إلا التقـي وعمـل المعـاد.
والصـبر فـي الله علـى الجهـاد ::: وكـل زاد عرضـه للتفـاد

غير التقي والبر والرشاد

٣- من أسباب حب الله للعبد كثرة النوافل إلي جوار أداء الفرائض كما أخرج البخاري في صحيحة أن رسول الله ﷺ روي عن رب العزة حديثاً قدسياً يقول: قال الله تعالى : «**من عادي لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتي أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها ولئن سألني لأعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفسي عبدي المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته**» وكثرة النوافل تدل على كثرة حب العبادة في قلب المؤمن فهو لم يكتف بأداء الفرض، ولكنه زاد من جنس ما شرع الله من صلاة نافلة، وصدقة تطوع، وصيام أيام زيادة على شهر رمضان، وحجة ثانية أو ثالثة زيادة على حجة الفرض، ومن ثمرات النافلة أنها تجبر الخلل ربما يقع في الفريضة.

٤- من أسباب حب الله لعبده الرضا بقضاء الله وقدره، والتسليم لله، والصبر على بلائه والله - عز وجل - قد يبتلي العبد ليسمع تضرعه ليختبر مدي صبره،{**وَنَبْلُوكُم**

(١) أخر سورة الكهف.

بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً}{الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} (١) واعلم أخي المسلم - أن ثواب رضاك عن الله رضا الله عنك" (رضى الله عنهم ورضوا عنه) وانظر إلى تقديم رضا الله عن عبده (رضى الله عنهم) قبل رضا العبد عنه - عز وجل - (ورضوا عنه) تدرك مدي الحب والرحمة من الله لعبده الذي يرضي عنه.

يروي أن جماعة دخلوا على الشبلي - رضي الله عنه - فقال: من أنتم؟ قالوا: أحبابك فأقبل يرمهم بالحجارة فهربوا منه فقال لهم: تهربون مني؟ لو كنتم أحبابي ما فررتم من بلائي، وقال الإمام الغزالي: من دعي من غير أربع فهو كذاب، من ادعي حب الجنة ولم يعمل بالطاعة فهو كذاب، ومن ادعي الخوف من النار ولم يترك المعاصي فهو كذاب، وإن ادعي حب النبي ﷺ ولم يحب العلماء فهو كذاب، ومن ادعي حب الله وشكا من البلوى فهو كذاب، ويوم القيامة يتودد الله الودود إلى عباده في الجنة فيقول لهم هل أنتم راضون عني كما أنا راضي عنكم فيقولون وهم في غمرة النعيم ومالنا لا نرضى وقد نجيتنا من النار وأدخلتنا الجنة؟ فيقول الله: أفلا أعطيكم أفضل بما أنتم فيه فيقولون وما هو؟ فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً، وعلى من ابتلاه الله بشيء من بلائه ألا يشكو ربه إلي عباده، فمن لم يشك وصبر أبدله خيراً مما ابتلاه به، والشكوى إلي الله عبادة لأنها تعني إظهار الذل والخضوع لله رب العالمين هذا يعقوب عليه السلام يشكو إلي ربه فيقول{إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ} (٢) ورسولنا محمد ﷺ يقول: **«اللهم أشكو إليك ضعف قوتي، وقله حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت ربي إلي من تكلني إلي بعيد يتجهمنى إلى عدو ملكته أمري إن يكن بك على غضب فلا أبالي»**، لكن الشكوى لمخلوق هي التي تناقض الرضا وما أحسن ما قبل.

لا تكثر الشكوي إلي الصديق ::: وارجع إلي الخالق لا المخلوق

لا يخرج الغريق بالغريق

(١) سورة الملك أية ٢.

(٢) سورة يوسف أية ٨٦.

ويمنعني الشكوي إلي الناس أنني ::: عليـل ومـن أشـكو إليـه عليـل

وهناك نصوص كثيرة تبين أسباب حب الله لعبده مثل إن الله يحب المحسنين، ومثل اتبعوني يحببكم الله.. إلخ.

حب رسول الله:

حب رسول الله ﷺ مكمل لحب الله ولكن لماذا نحب رسول الله؟ والجواب:

١- أن رسول الله أهل لحبنا فهو ﷺ حبيب الله، وحبيب الحبيب حبيب يقول النبي ﷺ أحبوا الله يغذوكم به من نعمة، وأحبوني لحب الله إياي، ومظاهر حب الله لرسوله محمد - عليه الصلاة والسلام أكثر من أن تحصي، فقد أعطاه الله من غير سؤال ما سأله الأنبياء قبله، وإليك هذه الموازنة بين ما سأله الخليل إبراهيم وبين ما أعطاه الله لحبيب محمد من غير سؤال.

أ) يقول الخليل في دعائه**{وَلاَ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}** [١]، وهي دعوي تدل على أن الخزي يوم القيامة هو الخزي الذي لا فلاح معه**{إِنَّ الخِزْيَ اليَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الكَافِرِينَ}** ويقول الله للحبيب محمد**{يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ}** [٢]، فقد أعطي الله محمداً من غير سؤال ما سأله الخليل إبراهيم.

ب) ويقول الخليل**{وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ}** [٣] وهذه دعوة هامة، لأن الشرك هو الذنب الذي لا يغفر**{إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ}** ويقول هو الذنب الذي لا يغفر**{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً}** [٤]، وقد أعطي الله حبيبه - من غير سؤال ما سأله الخليل إبراهيم عليه السلام.

---

(١) الشعراء أية ٨٧، ٨٨.
(٢) سورة التحريم أية ٨.
(٣) سورة إبراهيم أية ٣٥.
(٤) سورة الأحزاب أية ٣٣.

ت) يقول الخليل في دعائه{وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ} [(١)]، أي: ذكرا حسنا يزيد حسناتي عندك، وها نحن أولاء نصلى ونسلم على الخليل إبراهيم وعلى أنله في تشهدنا في الصلاة، ويقول الله للحبيب محمد{وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} [(٢)] فكلما ذكر الله ذكر رسوله محمد وذلك في الشهادتين، وفي الأذان وفي الإقامة، فأنت تري أن الله أعطي الحبيب محمداً من غير سؤال ما سأله الخليل إبراهيم.

ث) الخليل إبراهيم يجعل مغفرة الله لـه في حدود الطمع والرجاء، فالله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فيقول{وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ} [(٣)]، بينما يقول للحبيب{لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} [(٤)]، من ذلك تدرك مكانة الحبيب محمد عند ربه - عز وجل -، ومما يدلك على مكانته - ﷺ - عند ربه أن اسمه الشريف لم يذكر صراحة إلا وهو مسبوق بما يدل على رسالته أو وهو مشفوع به، قال تعالى:{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ} وقال{مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ} وقال:{مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ} وقال{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ} وقال تعالى:{وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ}، ولم يناد الله نبيه محمدا باسمه المجرد وإنما ناداه بصفة النبوة أو الرسالة{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ} أو{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ} بينما الرسول أجمعون نودوا بأسمائهم "يا آدم"، "يا نوح"، "يا إبراهيم"، "يا لوط" ولمكانة رسول الله - ﷺ - عند ربه أعطاه الشفاعة العظمي يوم القيامة، حيث يعتذر جميع الأنبياء، بينما رسول الله يقول أنا لها أنا لها ".

٢- ونحب نحب رسول الله ﷺ لأنه اختبأ شفاعته المستجابة شفاعة لأمته، ولما قال الله عز وجل في سورة الضحي{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} قال: **«لا أرضي واحد من أمتي في النار»**.

٣- رسول الله محمد أهل لحبنا إياه؛ لأنه كان أمانا لأمته من عذاب الدنيا قال

---

(١) سورة الشعراء أية ٨٤.
(٢) سورة الشرح أية ٤.
(٣) سورة الشعراء آية: ٨٢.
(٤) سورة الفتح آية: ٣٣.

تعـالى{**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ**} [1] وإذا كـان رسـول الله قـد لحـق بـالرفيق الأعلى، فإن سنته باقية خالدة إلي يوم الدين.

ولقد اجتهد رسول الله - ﷺ - في الأخذ بيد الأمة ليخرجها من الظلمات إلي النور، وبذل - في سبيل ذلك - الجهد الكبير ويدلك على هذا قول الله - تبارك وتعالى - لـه{**لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**} [2] وقال تعالى{**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ أَسَفاً**} [3]، ولما فعلت الطائف به ما فعلت ونزل ملك الجبال مأموراً من الله وعرض عليه ﷺ أن يطبق عليهم الأخشبين: «**قال أرجو أن تخرج الله من أ صلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئا، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون**» فأنت تري أنه دعا لهم بالهداية واعتذر عنهم بجهلهم، ولم يملك إلا يقول لـه صدق من سماك الرؤوف الرحيم إشارة إلي قوله تعالى{**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**} [4]، ولقد كان سلفنا الصالح من أصحاب رسول الله ﷺ يحبونه حباً شديداً فكان أحدهم يستبطئ طلوع الفجر، لأنه مشوق لرؤية رسول الله، ويقول أحدهم ما ينبغي لنا أن نفارقك يا رسول الله في الدنيا؛ لأنك في الآخرة تكون في أعلى الدرجات ونحن في درجات أقل فنزل قوله تعالى{**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً**} [5]، وحب أبي بكر لرسول الله أشهر من أن يذكر فهو يقسم أن يدخل الغار أولاً ليستبرئه لرسول الله، ويمشي أمامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله ولما سأله الرسول عن ذلك، فيقول: أخشى الرصد فأكون أمامك واخشي الطلب فأكون خلفك وعن يمينك وعن شمالك ويقسم للرسول أن إسلام أبي طالب عم النبي كان أحب إليه من إسلام أبيه، لأن رسول الله كان يحب أن يسلم عمه.

---

(١) سورة الأنفال آية: ٣٣.
(٢) سورة الشعراء آية: ٢٤.
(٣) سورة الكهف آية: ٦.
(٤) سورة التوبة آخر السورة.
(٥) سورة النساء آية: ٦٩.

وعمر بن الخطاب يقول مثل ذلك للعباس فيقول لـه: لإسلامك كان أحب إلي من إسلام أبي؛ لأن ذلك كان يسر رسول الله.

وبلال مؤذن رسول الله وهو على فراش الموت يقول: غدا ألقي الأحبة محمدا وحزبه.

وزيد بن الرثنة وهو يقدم لتضرب رقبته يسأله أبو سفيان: أتحب أن يكون محمد في مكانك هذا وأنت بين أهلك فيقول زيد لا والله، ولا أن يشاك بشوكة، وغير هذا كثير.

كيف نحب رسول الله:

ليس الحب دعوي يدعيها المحب، بدون دليل، أو كلمة يتحرك بها اللسان فإذا ما وضعت على محك الاختيار تلاشت كما يتلاشى الضباب أمام حرارة الشمس ولكن الحب لـه مقوماته ولـه دلائله، فكيف نحب رسول الله؟

١- إذا أردنا أن نبرهن على حبنا لرسول الله فعلينا بالاقتداء به، والاهتداء بسنته**{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً}** (١)، وذلك بإحياء سنته والتمسك بها يقول النبي ﷺ من أحب سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي يوم القيامة في الجنة " ولقد ضربت الملائكة مثلا لرسول الله، فقد روي الشيخان، البخاري ومسلم، أن الملائكة قالت: إن مثله " أي رسول الله " كمثل رجل بني دارا، وجعل فيها مأدبة، وبعث داعيا، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار، ولم أكل من المأدبة، فالدار الجنة والداعي محمد رسول الله فمن أطاع محمدا فقد أطاع، الله ومن عصي محمدا فقد عصي الله.

ولقد كان صحابة رسول الله يقتدون به حتي في أشياء تعد من العادات لا من العبادات فهذا أنس بن مالك يقول " ما زلت أحب الدباء " " القرع " لأن رسول الله كان يحبه.

---

(١) سورة الأحزاب آية: ٢١.

وعبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - كان يركب ناقه وجاء في مكان معين ولوي زمام الناقة ودارت في مكانها دورة ثم أطلق لها الزمام فانطلقت ولما سئل عن ذلك قال رأيت رسول الله ﷺ يفعل ذلك في نفس المكان.

وعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقتدي برسول الله في تقبيل الحجر الأسود ويقول: والله إني لأعلم أنك مجرد حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك.

٢- إذا أردنا أن نحب رسول الله فلنكثر من الصلاة والسلام عليه، ولقد سبقنا الله - تبارك وتعالى - إلي ذلك، وسبقتنا إليه ملائكته الكرام قال تعالى:**{إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً}** [(١)]، حكي الإمام الغزالي قال: إن رجلا كان من الغافلين عن الصلاة على النبي ﷺ ورآه في المنام ولم يلتفت إليه الرسول؟ قال: لا أعرفك، قال الرجل: كيف لا تعرفني وأنا رجل من أمتك، ولقد ذكر العلماء أنك أعرف بأمتك من الوالدة بولدها قال: صدقوا ولكنك لا تذكرني بالصلاة على، وإن معرفتي بأمتي بقدر صلاتهم على، ثم انتبه الرجل، وأوجب على نفسه أن يصلى على النبي ﷺ كل يوم مائة مرة، ثم رآه بعد ذلك فقال له: أعرفك الآن واشفع لك، والآية الكريمة فيها أمر صراحة بالصلاة والسلام على رسول الله وهذا هو دليل الإمام الشافعي، رضي الله عنه - الذي قال: أن الصلاة على النبي ﷺ أمر واجب ولو لمرة واحدة في العمرة كله كحد أدني، ويوجب الصلاة على النبي في التشهد الأخير، ويري أن ذلك، ركن من أركان الصلاة من تركه كانت صلاته باطلة والصلاة على النبي قربة من أفضل القرب، وعبادة من أجل العبادات، وروي النسائي عن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه أن رسول الله ﷺ جاء ذات مرة والبشر يري في وجهه فقال إني جاءني جبريل فقال: إن الله يقول أما يرضيك يا محمد أنه لا يصلى عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا، وروي الترمذي وابن حبان عن عبد الله بن مسعود يرفعه إلي النبي ﷺ قال: أولي الناس بي يوم القيامة

(١) سورة الأحزاب آية: ٥٦.

أكثرهم على صلاة.

وقال أبي بن كعب للنبي ﷺ إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: **«ما شئت قال: الربع؟ فقال: ما شئت وما زدت فهو خير قال: الثلث قال: ما شئت وإن زدت فهو خير قال النصف قال: ما شئت وإن زدت فهو خير قال: الثلثين؟ قال ما شئت وإن زدت فهو خير قال: اجعل صلاتي كلها لك قال: إذا تكفي همك ويغفر ذنبك»** وإن إبخل البخل إن يذكر النبي ﷺ عند مؤمن فلم يصل عليه ولقد دعا جبريل على هذا البخيل بأن يرغم الله أنفه وطلب من الرسول أن يؤمن على دعائه فأمن وذلك حنيما كان يصعد رسول الله المنبر فقال جبريل رغم أنف عبد أدركه رمضان ثم انقضي فلم يغفر له قل آمين فقال النبي آمين ثم رقي النبي درجة أخري فقال جبريل رغم أنف عبد أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة قل آمين، فقال النبي آمين ثم رقي الرسول الدرجة الأخيرة، فقال جبريل: رغم أنف عبد ذكرت عنده فلم يصل عليك قل آمين قال النبي آمين، وهذا حق فكيف يبخل إنسان بالصلاة والسلام على من كان سبب هدايته ونجاته من النار؟

كيف نصلى على النبي؟

سئل رسول الله - ﷺ - يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه (أى من التشهد وهو السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) فكيف نصلى عليك فقال: - ﷺ -: **«قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»**، ومعنى صلاة الله على رسوله: الرحمة كما قال بن عباس، الثناء عليه، - أيضا - وهو ﷺ أهل لذلك وصلاة الملائكة دعاء بأن يرفع الله قدره والصلاة من المؤمنين دعاء وثناء، أما السلام على رسول الله فهو التحية، فتحية الإسلام السلام، وقيل معنى السلام، أنه اسم من أسماء الله ويكون المعنى: الله السلام معك بتأييده ورحمته وعصمته لك.

وقد يقال: صلاة الله - عز وجل - على إبراهيم أكمل من الصلاة على رسول الله على اعتبار أن وجه الشبه أكمل فى المشبه به من المشبه؟ والجواب أن رسول الله - ﷺ

- ذكر ذلك تأدبا مع أبيه خليل الرحمن وهذا من تواضعه أليس هو الذى قال: لا تفضلونى على يونس بن متَّى؟

المواضع التى يصلى فيها على النبي:

يصلى على النبي - ﷺ - فى مواضع منها:

١- فى التشهد الأخير فى الصلاة وسبق أن قلنا إن الإمام الشافعى - رضى الله عنه - يرى أن ذلك ركن يخل تركه بصحة الصلاة، ويرى غيره أن ذلك سنة، وسواء أكان واجباً أم سنة فهذا موضع للصلاة عليه فيه.

٢- فى خطبة الجمعة فمن أركان الخطبة: الحمد لله، والصلاة على رسول الله والوصية بالتقوى، وقراءة أية من القرآن الكريم، والدعاء للمؤمنين والمؤمنات.

٣- فى صلاة الجنازة وذلك بعد التكبيرة الثانية وذلك ركن من أركان صلاة الجنازة عند الشافعية.

٤- عند الدعاء: فمن المستحب عند الدعاء أن تبدأ بحمد الله ثم الصلاة والسلام على رسول الله، ثم تدعو بما شئت من غير إثم ولا قطيعة رحم، ثم تختم بالصلاة على النبي فى أوله وفى آخره، قال ابن عطاء رحمه الله: للدعاء أركان وأجنحة وأسباب وأوقات فإن وافق أركانه قوى، وإن وافق أجنحته طار فى السماء، وإن وافق ميقاته فاز وإن وافق أسبابه نجح، فأركانه حضور القلب وتعلقه بالله تعالى، وأجنحة الصدق وميقاته الأسرار، وسببه الصلاة على النبي المختار.

٥- عند دخول المسجد وعند الخروج منه فمن السنة أن تقول عند الدخول: باسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك، وعند الخروج منه تقول: باسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك.

٦- بعد الأذان ورد أن رسول الله - ﷺ - قال: **«إذا سمعتم المؤذن يؤذن فقولوا مثلما يقول ثم صلوا على»**.

٧- عند سماع اسمه الشريف وقد سبق أن قلنا إن الذي يسمع اسم رسول الله ثم لا يصلى عليه كان بخيلاً.

٨- في يوم الجمعة وليلتها: قال - ﷺ - : **«إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض وفيه النفخة، وفيه الصعقة فأكثروا من الصلاة على فيه فإن صلاتكم معروضة على قالوا كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت** (بليت) **قال: إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»**.

٩- عند خدر الرجل (تنميلها) كان بن عمر يقول إذا خدرت رجله: وامحمداه.

هل هناك أوقات لا يصلى على النبي فيها؟

ذكر ابن كثير فى تفسيره ص٣ ص٥١٥ قال الجمهور: لا يصلى على النبي - ﷺ - فى أماكن منها: الذبح، ودخول الخلاء، وعند الطعام، وعند الوقاع فلذلك أدعية مخصوصة ليس منها الصلاة على النبي، وخير الهدى هدى محمد - ﷺ -، وبعد فإن الحب كل الحب لله ورسوله، والولاء كل الولاء لله ورسوله ولمن آمن بالله ورسوله**{وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الغَالِبُونَ}**[1] والعداء كل العداء لمن حاد الله ورسوله مهما كانت نسبته**{لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ المُفْلِحُونَ}**[2].

قال ابن عباس: إن الآية عنى بها جماعة من الصحابة فقوله ولو كانوا آباءهم يريد به أبا عبيدة قتل أباه يوم أحد وقوله أو أبناءهم يريد به أبا بكر فإنه دعا ابنه عبد الرحمن يوم بدر فأمره رسول الله أن يقعد، وقوله أو إخوانهم يريد مصعب بن عمير قتل أخاه يوم أحد وقوله أو عشيرتهم يريد علياً قتل بعض عشيرته، وقتل عمر بن الخطاب خاله العاصى بن هشام يوم بدر). وموقف عبد الله بن عبد الله بن أبى معروف ومشهور مع

(١) سورة المائدة آية: ٥٦.

(٢) سورة المجادلة الآية الأخيرة.

أبيه وذلك حينما قال عبد الله بن أبى:{إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ} [1] فطلب من رسول الله أن يكلفه قتل أبيه ولكن الرسول عفا عنه، ووقف عبد الله بن عبد الله ابن أبى على باب المدينة ومنع أباه من الدخول حتى يأذن رسول الله.

الخصلة الثانية: وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله

نأتى إلى الخصلة الثانية: التى تجعل المؤمن يذوق حلاوة الإيمان وهى الحب فى الله وهذه العلاقة بين المؤمنين تأتى على قمة العلاقات التى تربط الناس بعضهم ببعض، وهى العلاقة الباقية، أما العلاقات الأخرى فإنها علاقات وقتية تنتهى بانهاء سببها فإذا تصادق اثنين من أجل منفعة مشتركة بينهما فإن هذه الصداقة تنتهى بانتهاء هذه المنفعة بل قد تنقلب إلى عداوة.

إحـــذر عــــدوك مــــرة ::: وإحـــذر صــديقك ألــف مــرة
فلربمـــا انقلـــب الصــد ::: يــق فكــان أعلــم بالمضــرة

وقد تكون الصداقة بسبب مصاهرة - مثلا - ونقول قد تنتهى هذه المصاهرة، وتسقط منها هذه الصداقة، ولكن الحب فى الله هو الذى يدوم والله - عز وجل - هو الذى ربط بين قلوب عباده المؤمنين وقال لرسوله - ﷺ -{لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ} [2] ويقول:{وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عليكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً} [3] وهذه الأخوة تفرض تبعات على كل من الأخوين تجاه الآخر ومن ذلك.

١ - أن يحب كل منهما لأخيه ما يحب لنفسه فلا مجال لغيره أو حقد أو حسد وبالتالى فلا كيد ولاتدبير سوء، وقد قلنا قبل ذلك إن هذه الأخوة لاتزيد بالعطاء ولاتنقص بالمنع فمهما قدم لى أخى فى الله من معروف فإن حبى له لن يزيد شيئا لأننى أحبه لتقواه، ومهما منع عنى من عطائه فلن ينقص حبى لأنى ألتمس له من عذر إلى سبعين

---

(١) سورة المنافقون آية: ٨.
(٢) سورة الأنفال آية ١٦٣.
(٣)سورة آل عمران.

ثم أقول لعل لـه عذرا ولا أعرفه، وليس إرادة الخير من الأخ لأخيه قاصرة على الناحية المادية الدنيوية فقط بمعنى أننى أحب لـه المال والجاه والولد، ولكن إرادة الخير التى نتحدث عنها تشمل إلى جوار ذلك إرادة الخير فى الآخرة فأنا أحبه أن يصلى وأن يحضر صلاة الجماعة وأن يكون من المتصدقين. إلخ، فذلك والحب النافع إن شاء الله، وعلى ذلك فليست إرادة الخير ناحية سلبية بمعنى أننى أحب لـه الخير بقلبى فقط ولكن هذا الحب لابد أن يبرز إلى الوجود وأن تكون لـه أمارات وشواهد ويتمثل ذلك فى تعهده بالنصيحة وبزياراته وحق المسلم على المسلم أنك إذا لقيته تسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعدته، وإذا مات شيعت جنازته، وعلى ذلك فليس الحب ناحية سلبية، ولكنه قوة دافعة إلى الخير : **«خيركم من أحب لله وأبغض لله»** ولقى سلمان الفارسى جماعة اجتمعوا على تأنيب رجل ارتكب خطأ ما فقال لهم: لو أن صاحبكم وقع فى حفرة أكنتم تاركيه حتى يموت؟ قالوا: **«لا قال فخذوا بيد أخيكم»**.

ونصح رسول الله - ﷺ - أبا ذر وقال لـه يا أبا ذر: **«إنى أراك ضعيفا وإنى أحب لك ما أحب لنفسى لا تأمرنا على اثنين ولا تولين مال يتيم»**.

ونضرب أمثلة لأناس أرادوا الخير لإخوانهم بلا حساسية ولا خوف من منافسة على منصب أو شرف ومن ذلك.

أ- يقول بن عباس - رضى الله عنهما -: إنى لأمر على الآية من كتاب الله تعالى فأود أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم، إنه - رضى الله عنه - يحب للناس أن ينقدح فى أذهانهم ما انقدح فى ذهنه فهو حبر الأمة وترجمان القرآن ببركة دعوة رسول الله ﷺ حيث دعا لـه وهو صغير: اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل.

ب- الإمام الشافعى قال: وددت أن الناس تعلموا هذا العلم ولم ينسب إلى منه شىء، إنه - رضى الله عنه - يحب للناس أن يعلموا ما عنده من العلم، ثم يتواضع وينكر نفسه، فيحب ألا ينسب إليه منه شئ تأمل هذا وما يكتب على بعض

الكتب من عبارات مثل حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، لايصح النقل ولا التصوير ومن فعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية.

ج- كان عقبة الغلام إذا أراد أن يفطر عند أذان المغرب يقول لبعض إخوانه أخرج إلى كوب ماء أو بضع تمرات أفطر عليها ليكون لك ثواب مثل ثواب صيامى يشير ذلك إلى معنى حديث رسول الله - ﷺ - الذى يقول فيه : **«من فطر صائما كان له أجر مثل أجر الصائم من غير أن ينقص من أجره شيء»**.

٢ - من تبعات الأخوة فى الله أن يؤثر كل من الأخوين صاحبه على نفسه قال تعالى فى صفات الأنصار **{وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}**(١).

يروى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال للأنصار يوم بنى النضير: **«إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم فى الغنيمة ، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم نقسم لكم شيئا منها، فقال الأنصار بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها»{وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}** وقصة ضيف رسول الله الذى استضافه أحد الأنصار ولم يكن فى بيته إلا طعام الأولاد وأمر امرأته أن تعلل الصغار (تلهيهم) وأن تطفئ السراج حتى يشبع الضيف، وكان يضعون أيديهما فى الإناء حتى يحس الضيف بأنهما يأكلان ولكنهما يخرجانها فارغة، ولا تنسى سناء رسول الله - ﷺ - على الأشعرين فقد كانوا إذا أرسلوا فى الغزو أو قل طعام عيالهم جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم بالسوية يقول النبي عنهم (فهم منى وأنا منهم) وروى نافع عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أنه كان (ابن عمر) مريضا فاشتهى سمكة طرية فالتمست له فى المدينة فلم توجد، ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت له بدرهم ونصف فشويت وحملت له على رغيف فقام سائل بالباب فقال ابن عمر للغلام: لفها برغيفها وادفعها إليه، فقال له الغلام: أصلحك الله قد اشتهيتها من كذا وكذا فلم تجدها، فلما وجدناها، (تعطيها للغلام) نحن نعطى ثمنها للسائل فقال له: لفها وادفعها إليه، فقال الغلام للسائل هل لك أن تأخذ

(١) سورة الحشر آية ٩.

درهمها وتتركها فقال: فأعطاه الدرهم وعلم بن عمر بذلك فقال لـه أعطها لـه ودع لـه الدرهم. وأقص عليك هذه القصة العجيبة التى قد تبدو للبعض وكأنها أسطورة من الأساطير ذلك أن بعض الصالحين قابل أخاه فى الله فلم يبش فى وجه كالعادة وإنما بدا عليه الفتور قليلا، فكلمه صاحبه فى ذلك فقال لـه: إن رسول الله - ﷺ - قال: **«إذا التقى المسلمان تنزل عليهما مائة رحمة تسعون منها لأكثرهما بشرا وعشرة لأقلهم بشرا»** فأحببت أن أكون أقل بشرا لتأخذ الثواب الأكبر.

٣ - من حق الأخ المؤمن على أخيه أن يدخل السرور على قلبه، وأن يقابله بطلاقة الوجه وهذا حق يغفل عنه كثير من الناس، فحينما تلقاه يلقاك بسيل من شكاواه: المرض، الأولاد، والأسعار، وضيق ذات اليد.. إلخ ويدخل بذلك الحزن على أخيه والبعض قد يرسم فى مخيلته صورة كئيبة للمسلم، وهذه الصورة الشائعة هى التى يحرص على إبرازها كثير من المخرجين فهو يصور المتمسك بإسلامه بأنه صاحب الصوت العالى، والنبرات الحادة، والملامح المتجاهمة أو أن يصوره فى صورة الإنسان الأبله الذى يثير السخرية والاشمئزاز، وهاتان الصورتان لا ينطبقان على المسلم الحق الفاهم لدينه، وعلى ذلك فالمسلم يلقى أخاه المسلم بالابتسامة التى ينفذ صفاؤها ونقاؤها إلى قلب أخيه وبذلك تتصافح القلوب قبل أن تتصافح الأيدى، يقول النبي - ﷺ - : **«تبسمك فى وجه أخيك صدقة»** وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله - ﷺ - قال : **«كل معروف صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق، وأن تفرغ من دلوك فى دلو أخيك»** وقد قيل فى وصف الصالحين بكاؤهم فى خلوتهم وطلاقة وجوههم مع الناس وعلى ذلك فإذا لقيت أخاك فعليك أن تلقاه وقد انعكست على وجهك مظاهر الفرحة التى تعمر قلبك برؤياه، فالوجه مرآة يظهر على صفحتها الصقيلة ما يكنه القلب فى ثناياه، ومثل هذا موجود فى القرآن الكريم فقد وصف الله وجوه المؤمنين يوم القيامة بأنها مسفرة ضاحكة مستبشرة، ووصف وجوه الكافرين بأن عليها غبرة ترهقها قترة قال تعالى:**{وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ *كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الفِرَاقُ * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المَسَاقُ * فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صَلَّى * وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى * أَوْلَى**

لَكَ فَأَوْلَى * ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أن يُحْيِيَ المَوْتَى} [(١)].

وكان رسول الله - ﷺ - مثالاً حياً للين الجانب وترك التكلف يروى أن رجلاً يسمى زهران بن حرام وكان بدوياً وكان إذا جاء إلى النبي أتاه بتحفة يتحفه بها ولقيه رسول الله مرة بالسوق، ولم يكن قد جاءه، فاحتضنه رسول الله وأكب زهران على كفى رسول الله يقبلهما وضاحكه النبي وقال: **«من يشترى العبد فقال زهران: إذا تجدنى كاسدا فقال ولكنك عند الله ربيح»** وقال لكل : حدر بادية وبادية آل محمد زاهر بن حرام، ومزاح رسول الله الذى كان يفاكه به أصحابه - وكان حقا - معروف مشهور فقد جاءته امرأة عجوز وقالت يا رسول الله: ادعوا الله أن يدخلنى الجنة فقال لها: **«يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز فتولت وهى تبكى فقال: أخبروها ألاَّ تدخلها وهى عجوز بل تدخلها شابة»** إن الله تعالى يقول:**{إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً * عُرُباً أَتْرَاباً}**[(٢)].

وجاء رحل إلى رسول الله - ﷺ -، وقال يا رسول الله احملنى على جمل فقال أحملك على ابن الناقة فقال الرجل أقول لك يا رسول الله احملنى على جمل فتقول لى: أحملك على ابن الناقة، فقال الرسول كل جمل فهو ابن ناقة، أو كما قال، وكان صحابته رضوان الله عليهم - يبادلونه فكاهة بفكاهة فقد دخل صهيب على رسول الله وبين يديه تمر يأكله فقال - ﷺ - أصب من هذا الطعام قال صهيب فجعلت أكل، فقال النبي - ﷺ - : **«أتأكل وأنت رمد»** فقال صهيب أمضغ على الجانب الآخر، وهذه الفكاهات لا تعنى كثرة الضحك الذى يميت القلب ولا يتنافى معها أن رسول الله - ﷺ - كان دائم الأحزان لأن هذه الفكاهات بمثابة الملح فى الطعام إنه قليل ولكنه يصلحه.

---

(١) سورة القيامة الآيات من ٣٢ إلى آخر السورة.

(٢) سورة الواقعة الآية: ٣٥.

٤ - من حق الأخ على أخيه معاونته، وقضاء حاجته، وذلك أن الإنسان قليل بنفسه كثير بإخوانه، والدنيا دول فمن لا تحتاج إليه اليوم قد تحتاج إليه غدا، وهذا من باب التعاون على البر والتقوى الذى أمر الله به فى قوله تعالى**{وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}** وقد طلب موسى من ربه حينما كلفه الذهاب إلى فرعون أن يشد أزره بأخيه قال:**{وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي}**.

من ثمرات الحب فى الله:

من هذه الثمرات مايلى:

١- أن المتحابين فى الله فى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله وفى الحديث القدسى الذى رواه أبو هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال: «**إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم بظلى يوم لاظل إلا ظلى**» والسؤال عنهم إنما هو لإظهار مكانتهم وكرامتهم والباء فى بجلالى للسببية أى: أنهم متحابون بسبب جلال الله، ومن السبعة الذين يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لا ظل إلا ظله (ورجلان) تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه.

٢- المتحابون فى الله يحبهم الله تعالى: عن أبى إدريس الخولانى قال: دخلت مسجد دمشق فإذا شاب براق الثنايا وإذا الناس معه، وفى رواية ومعه من الصحابة عشرون أو ثلاثون إذا اختلفوا فى شىء أسندوه إليه، وصدروا عن قوله فسألت عنه فقيل: هذا معاذ بن جبل فلما كان الغد هجرت فوجدته قد سبقنى بالتهجير ووجدته يصلى قال فانتظرته حتى قضى صلاته، ثم جئته من قبل وجهه فسلمت عليه ثم قلت: والله إنى أحبك فى الله فقال: الله فقلت الله فأخذ يحبو ردائى فجذ بنى إليه وقال: أبشر فإنى سمعت رسول الله - ﷺ - يقول قال الله - تبارك وتعالى -: «**وجبت محبتى للمتحابين فى والمتزاورين فى والمتباذلين فى**».

الحب فى الله عمل خالص لله تعالى: أوحى الله إلى موسى عليه الصلاة والسلام قال: يا موسى: هل عملت لى عملا قط قال: إلهى صليت لك وصمت لك وذكرت لك

فقال الله تعالى: إن الصلاة برهان، والصوم جنة، والصدقة لك ظل، والذكر لك نور، فأى عمل عملت لى؟ قال دلنى على عمل هو لك فقال: يا موسى هل واليت لى وليا قط؟ وهل عاديت لى عدوا.

٤- الحب فى الله سبب النفع يوم القيامة كما قال تعالى:**{الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ}**(١) فالآية الكريمة تبين أن الخلة لغير الله تنقلب عداوة ويفهم من ذلك أن الخلة فى الله تنفع الأخلاء المؤمنين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وأكثر الأخوين حباً لأخيه أكثرهم ثواباً، فالثواب يتناسب مع الحب بالله تناسبا طرديا، قال رسول الله - ﷺ -: **«ما تحاب اثنان فى الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه»** وإشاعة الحب فى الله تعالى بين الأمة يحوطها بسياج عتيق من الأمن والأمان، والتودد والتواصل، ولقد شهد المجتمع المدنى عقب هجرة رسول الله - ﷺ - هذا التآخى فى الله، ولقد آخى رسول الله بين المهاجرين والأنصار وكان يقول: تآخيا فى الله أخوين أخوين وفتح الأنصار صدورهم وديارهم لإخوانهم المهاجرين، وقاسموهم أموالهم، بل بلغ من أحدهم أن يعرض على أخيه من المهاجرين أن يطلق له إحدى امراتيه، ليتزوجها بعد انقضاء عدتها، بل كانوا يتاورثون كما يتوارث العصبة، حتى استقرت الأوضاع ونزل قول الله**{وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عليمٌ}**(٢). هذا هو المجتمع الذى يبينه الإيمان مجتمع متماسك متآزر، قوامه الإيثار، ولحمته وسداه العمل على مرضاة الله، أما المجتمعات التى يسودها الانحلال، ويخفت فيها صوت الإيمان لتعربد فيه المادية فإنها تنحدر إلى الهاوية، وإن ظلت متماسكة فإلى حين، وإن بدت قوية فإن ذلك بمقدار ما يستشرى الداء ويصل السوس إلى اللب والنخاع، وأوضح على ذلك ما وصلت إليه دولة عظمى أدارت ظهرها إلى الدين وعملت على نشر أن الدين أفيون الشعوب وقد إنهارت هذه الدولة وعجزت حتى عن دفع أجور موظفيها لعدة شهور، ألا يستحق الإيمان منا - إن أردنا عزة الدنيا -، ورضا الله فى الآخرة أن تعمل على تثبيت دعائمه، وعلى إزالة كل ما من

(١) سورة الزخرف آية ٦٧.
(٢) سورة الأنفال الآية الأخيرة.

شأنه أن يتنافى مع مبادئه وأخلاقياته؟.

الخصلة الثالثة : «وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار»:

نأتى إلى الفقرة الأخيرة من الحديث الشريف الذى يدعونا إلى تذوق حلاوة الإيمان إذا ما طبقنا فقراته الثلاث، فإذا الأولى تدعوا إلى حب الله، وحب رسوله محمد - ﷺ - أكثر من أى حب آخر والفقرة الثانية تدعوا إلى حب لمؤمن لأخيه حبا يسمو إلى وجه الله تعالى وحده متعاليا على الأسباب الأرضية التى قد تجتمع بين البشر، فإن الفقرة الثالثة تسير فى هذا الفلك النورانى العلوى وذلك بأن نحب الدين الذى أكرمنا الله تعالى به حبا يجعلنا نتمسك به، ولا نحيد عنه، فى الوقت ذاته نكره أن نخرج منه - والعياذ بالله - إلى الكفر كما يكره أحدنا أن يقذف فى النار ولعل النار المذكورة فى الحديث لا يقتصر مدلولها على نار الدنيا، وإن كان القذف فيها مكروها فى فطرة كل إنسان بل تشير هذه الكلمة إلى العقوبة التى تنتظر من يخرج من الإيمان إلى الكفر وهى نار الآخرة التى وقودها الناس والحجارة، إنها سقر التى لا تبقى ولا تذر، إن طعام أهلها الزقوم، وما أدراك ما الزقوم؟ إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين، ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم، يصهر به ما فى بطونهم والجلود، ثم فيها الخزنة وبأيديهم مقامع من حديد نسأل الله السلامة، والعفو والعافية، وأن يدخلنا الجنة بغير سابقة عذاب.

وهل يتصور من إنسان عاش فى نور الإيمان أن يعود إلى الكفر بعد أن استنقذه الله منه إلا من سفه نفسه فأصبح أسيرا فى يد الشياطين يقودونه بزمامه كما تقاد الدابة إلى مصرعها، وقد كانت بعثة رسول الله - ﷺ - لإخراج الناس من الظلمات إلى النور**{الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ * اللَّهِ الَّذِي له مَا فِي السماوات وَمَا فِي الأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ * الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ا للَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ}**(١). لقد عاش العالم قبيل بعثة رسول الله - ﷺ - فى ظلام

(١) أول سورة إبراهيم.

الكفر وضلال الوثنية وحتى جاء محمد - ﷺ - بالنور الساطع، والبرهان القاطع على أن الله تبارك وتعالى - هو رب هذا الوجود، وهو خالقه، وهو القيوم على أمره، لا شريك له، ولا ند له، بل هو الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد. لقد انتشرت الوثنية فى جزيرة العرب، وعبدت آلهة شتى، وتحولت الكعبة بناية التوحيد الأولى، وأول بيت وضع للناس، إلى مجتمع للأصنام بل عدده عدد أيام العام وظل الحال كذلك - حتى حطمها رسول الله يوم الفتح تحطيما لا قيامة لها بعده إن شاء الله تعالى ولم يكن الفرس أسعد حالا من العرب فقد كانوا يعبدون النار، يشعلونها بأيديهم، ويقدمون لها الوقود وإلا خبت نورها وانطفأ، والإله الحق هو الذى يطعم ولا يطعم، أما هؤلاء فإنهم يطعمون إلههم ولا يطعمهم فكيف يكون إلها إنه الانحدار العقلى وكذلك كان أهل الكتاب على غير إيمان صحيح إنهم غيروا وبدلوا وحرفوا وزعموا لله إبنا - تعالى الله عن ذلك علو كبير -**{وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ}**(١) وابتدعوا عقيدة التثليث**{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ}**(٢)، ولليهود - أخزاهم الله - باع طويل فى الكفر، وتطاول بالكذب على الله تعالى ومن أمثلة ذلك ما ذكره القرآن الكريم:

١ - أليس اليهود هم الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء؟ ويذكر ابن عباس - رضى الله عنهما - أن أبا بكر - رضى الله عنه - دخل بيت المدارس، فوجد اليهود قد اجتمعوا على رجل منهم وقالوا له (فنحاص) وكان من أحبارهم، فقال له أبو بكر: إتق الله يا (فنحاص) وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله، تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة (يا فنحاص) - بكل فجة وبذاءة وكفر - والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة إنه لفقير ونحن أغنياء، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، ولو كان غنيا عنا ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم (رسول الله) وإنه ينهاكم عن الربا ويعطيناه.. هذا هو كلام الحبر عن الله فكيف بكلام الأمى منهم؟ وغضب أبو بكر لربه، وصفع (فنحاص) على وجهه ثم قال والله لولا العهد الذى بيننا وبينكم لضربت عنقك يا عدو الله.

---

(١) سورة التوبة آية ٣٠.

(٢) سورة المائدة آية: ٧٣.

وذهب (فنحاص) إلى رسول الله يشكو أبا بكر إليه: انظر يا محمد ما صنع صاحبك بى، وسأل رسول الله أبا بكر ما حملك على ذلك؟ فقال: يا رسول الله قال كلاما لا أستطيع أن أقوله يزعم أن الله تعالى فقير وهم أغنياء، وأقسم (فنحاص) كاذبا إنه لم يقل ذلك فنزل قول الله تعالى مصدقا أبا بكر ومكذبا (فنحاص)**{لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء}**(١) والتعبير القرآنى بكلمة (الذين) مع أن الذى قال هو (فنحاص) يدل على رضا الباقين عن قوله، فهم شركاء له.

٢ - أليس اليهود هم الذين وصفوا الله - تعالى - الله عما وصفهم علوا كبيرا، بأنه بخيل قال تعالى:**{وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ}** (٢)، ولو كانت يد الله مغلولة ما سقاهم من الدنيا شربة ماء فهم يتطاولون عليه وهو يرزقهم فكيف يكون بخيلا، إن البخيل هو من يضن على أحبابه بما فى فكيف بأعدائه؟ وهم أعداء الله فكيف يوصف بالبخل وهو يرزقهم مع قربه لهم ويرد القرآن عليهم:**{غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ}**(٣)، وصدق الله تعالى فهو الكريم الرازق الواسع مددا وعطاء وانظر إلى التعبير القرآنى كيف جاء التعبير بالمثنى (يداه) مكان المفرد (يد) التى جاءت فى كلام اليهود للدلالة على كثرة العطاء إن خزائن الله ملأى لا تنفذ أبدا، وأن يد الله سجاء بالعطاء ألم تروا كيف أنفق منذ أن خلق السماوات والأرض ولم ينقص مما عند الله شئ؟.

٣ - أليس اليهود هم الذين طلبوا من موسى عليه السلام بعد أن نجاهم الله من فرعون بأن شق لهم البحر وأغرق فرعون ومن معه، وكان ذلك كافيا لأن يعبدوه وحده فقد رأوا آثار قدرته عز وجل واضحة لايحتاج إلى دليل، لكنهم قالوا حينما مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم:**{قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُون}**(١).

---

(١) سورة آل عمران آية: ١٨١.
(٢) سورة آل عمران آية: ١٨١.
(٣) سورة المائدة آية: ٦٥.
(١) سورة الأعراف آية: ١٣٨.

٤ - أليس اليهود هم الذين عبدوا العجل؟ وذلك حين ذهب الكليم موسى ليتلقى الألواح عن ربه قال تعالى:**{وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً له خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ}**(١) وبعد فإن الصورة التى ترسمها التوراة المحرفة، وغيرها من الكتب التى غير وبدل فيها أصحابها - لله عز وجل - تتنافى مع التوحيد فهم يزعمون أن الله تعب - وحاشاه - من خلق السماوات والأرض واستلقى على قفاه (هكذا) فى اليوم السابع. إنها صورة إنسان مكدود وأتعبه العمل، وأضناه بذل الجهد وليست صورة إله يقول للشيء كن فيكون، أين هذه الصورة من قول الله - تبارك وتعالى -**{وَلَقَدْ خَلَقْنَا السماوات وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ}**(٢)، إنه الله القوى القادر الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء. وهم يزعمون أن الله اعترف بخطأه - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا -، وذلك حينما احتج عليه القمر بقوله (أخطأت إذا خلقتنى أصغر من الشمس) أين هذه الصورة التى يرسمونها لإله لا يحسن التقدير فيعترف بالخطأ من قوله تعالى**{قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ له أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ العَالَمِينَ}**(٣)، هكذا كان العالم قبيل بعثة رسول الله - ﷺ - الذى أرسله بالهدى ودين الحق ليخرج الناس - كل الناس - من الشرك إلى التوحيد، ومن الضلال إلى الرشاد، ومن العمى إلى الهدى ومن التناحر والتخاصم إلى التواد والتآلف، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة حتى كشف به الغمة. وخلف من بعد ذلك خلف أرادوا أن يعيدوا الناس إلى أوضار الجاهلية ونادوا بمللهم ونحلهم الضالة المضلة، ورد الله كيدهم إلى صدورهم وسهامهم إلى نحورهم، وبقيت كلمة التوحيد والإيمان شامخة صامدة، وسوف تبقى - هكذا - إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها أم الذين يستمدون أفكارهم من هنا أو هناك فمصيرهم كما يصوره القائل:

كناطح صخرة يوما ليوهنها ::: فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

---

(١) سورة الأعراف آية: ١٤٨.

(١) سورة ق آية: ٣٧.

(٣) سورة فصلت آية ٩.

وللتدليل على ذلك نذكر ما نشرته جريدة (الوفد) فى عددها الصادر يوم الجمعة ٢٠ من صفر ١٤١٥هـ الموافق ٩٤/٤/٢٩ عن صدور كتاب يحمل اسم (نحو الإسلام الحق) وهو عنوان قد يغرى القارئ إلى شراء الكتاب وقراءته وهو يمنى نفسه أن يجد صاحب الكتاب قد شمر عن ساعد الجد لتنقية الإسلام مما ألصقه به أعداء الإسلام من تهم باطلة وتنقيته - كذلك - من المبتدعين الذين ينسبون للإسلام ما ليس منه ولكن ما تكاد تقرأ الكتاب حتى تنفض يديك منه فهو لا يتحدث عن الإسلام الذى نعرفه عن رسول الله - ﷺ - ولا يتحدث - كذلك حديث الحق، وإنما تفتق ذهن أستاذ الخرسانة المسلحة عن أفكار تهدم الإسلام ولن يهدم إن شاء الله - وتفتح باب الافتراء على دين جعله الله - تبارك وتعالى - خير الأديان وخاتمها، وسيادة أستاذ الخرسانة المسلحة يخرج على ما أجمع عليه المسلمون منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، ويعتبرونه من المسلمات المعروفة من الدين بالضرورة ومن ذلك ما يلى:

١- يتهم أستاذ الخرسانة المسلحة رسول الله - ﷺ - بأن القرآن من كلامه وليس من كلام الله ص٦، ونقول لسيادته: (قديمة) إنك تردد ما قاله الجاهليون حين قالوا عن القرآن**{إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عليه قَوْمٌ آخَرُونَ}**[1] وحين**{قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً}** وحين قالوا**{إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ}** فأين الإسلام الحق وهو يردد - كالببغاء كلام الجاهليين والقرآن الكريم المتهم من قبل الدكتور بأنه من تأليف الرسول، قد تحدى العرب، وهم أرباب الفصاحة والبلاغة بأن يأتوا بمثل أقصر سورة من القرآن فعجزوا، ثم إن تاريخ رسول الله - قبل النبوة - لم يذكر فيه أنه كان خطيبا مثل قس وسبحان، ولم يكن شاعرا كزهير والأعشى بل قال عن نفسه (لما نشأت بغضت إلى الأوثان وبغض إلى الشعر والله يقول:**{وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي له}**[1]، بل كان رسول الله لايفقم لسانه حين ينطق بالشعر والله يقول:**{وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لاَّرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ}**[2]. ثم من أين لرسول الله - ﷺ - أخبار الأولين

---

(١) سورة الفرقان آية ٤، ٥.

(١) سورة يس آية ٦٩.

(٢) سورة العنكبوت آية ٤٨.

من إخوانه الأنبياء كآدم، ونوح وهود وصالح عليهم السلام ومن أين لرسول الله - ﷺ - أن يأتى بالآيات الكونية والعلمية، والتى ما يزال العلم الحديث يبحث عنها حتى الآن. ثم كيف نعلل إسلام كثير من العرب ومنهم الخطباء والشعراء بمجرد سماع القرآن الكريم، إذ لم يكن من الله تعالى؟ ثم كيف نعلل شهادة الأعداء للقرآن - والفضل ما شهدت به الأعداء من أن القرآن ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو وما يعلى عليه أما أنا فأشهد أن أستاذ الخرسانة قد ضل ضلالا مبينا فى هذا الادعاء.

٢- يحاول الأستاذ أن يفتح باب التجديد - على طريقته - فيظهر بمظهر الفقيه النظيف الذى يأنف من الطهارة بالتيمم عند فقد الماء، وإنما يتطهر (بفوطة طيبة الرائحة مع استخدام الكولونيا) ص١٢.

أرأيتم اجتهاد أمثل كهذا الاجتهاد؟ إن الله تبارك وتعالى يقول:**{فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً}**(١) وأستاذ الخرسانة يقول يقول إن لم تجدوا ماءا فتيمموا بالكولونيا إننى أمسك بزمام القلم حتى لا ينعطف منعطفا لا أرضاه له، ولم يعتد عليه إن كان مسلما حقا، ويريد أن يأخذ بأيدينا إلى الإسلام الحق كما يقول ألا يستحى أن يجتهد فى مقابلة النص القرآنى. إن التيمم يا سيادة الأستاذ ليس وساخة كما قد يتبادر إلى ذهنك الذى تعود أن يتعامل مع الرمل والأسمنت والزلط.

إنه استخدام لصعيد طيب طاهر وليس مجرد صعيد فقط. إنه رمز للخضوع لله رب العالمين كما قيل (أعفر وجهى فى التراب لسيدى) ثم إن عملية التيمم تتم بأنم يضرب المتيمم الصعيد الطاهر بكفيه، ثم يضرب إحدى يديه بالأخرى ثم يمسح الوجه، ويكرر ذلك مرة أخرى لليدين إنه أمر تعبدى تعبدنا الله به، فهل تغنى الكولونيا عنه، وهل استخدام الكولونيا يرمز إلى الخضوع لله، والتعبد له؟ مرحى بمجدد القرن العشرين!! ونسأل هل كان الطيب غير معروف فى عصر النبي - ﷺ -؟، والجواب: لا، ونقول فإذا كان الطيب معروفا فهل غاب عن الله - عز وجل - أن يأمرنا باستخدامه عند فقد الماء؟

---

(١) سورة المائدة آية ٦.

تعـالى الله عـن ذلـك علـوا كبيـرا، فهـو العلـيم الـذى لا يعـزب عـن علمـه مثقـال ذرة فـى السماوات ولا فى الأرض.

٣- وإذا كان الدكتور قد فشل فقيها فإنه يظهر هذه المرة فى صورة الفلكى الذى يحدد لنا مواقيت الصلاة إنه يدعو إلى تثبيت مواعيد الصلاة بحيث يكون لها وقت محدد طال النهار أو قصر ويدعو إلى اتخاذ مواقيت يومى ٩/٢٢، ٣/٢٢ هى المواقيت التى تطبق على فصول السنة وأيامها ص١٣٩ وربما قام بذهنه أن التاريخ الأول بداية التاريخ، والثانى بداية الربيع وهما فصلا الاعتدال فهل يرضى علماء الفلك عن هذا الاجتهاد ثم هل يرضى أى مسلم عنه - أيضا -؟

من المعلوم بداهة أن النهار يطول فى الصيف ويقصر فى الشتاء فكيف نصلى المغرب فى فصل الصيف والنهار يطول فيه - بمواعيد بداية الربيع؟

إنها ستصلى بالتأكيد والشمس طالعة، لأن نهار الصيف أطول من نهار الربيع ثم كيف نصلى الفجر فى ليل الشتاء وهو طويل بميقات فصل الخريف بالتأكيد سوف نصليها بعد طلوع الشمس فهل هذا يصح؟.

٤- ثم يحاول بعد ذلك أن يحل مشكلة تزاحم الحجاج على أداء الحج فى وقته الذى حدده الله، ونفذه رسول الله فيقول سيادته: يتم أداء الحج على ثلاث دفعات وكل دفعة على أربع مرات وذلك من شوال حتى آخر ذى الحجة ص١٣١.

لقد حل سيادته المشكلة ونفض يديه منها بهذه الخلطة الخرسانية سبحان الله الحياء لا يأتى إلا بخير، وإذا لم يستحى فاصنع ما شئت.

٥- ثم يلبس مسوح الأطباء فيقول إن النجاسة التى يعرفها إنما هى من البول والغائط والدم.. إلخ ولكنه يرى أن النجاسة إنما هى العدوى التى ينتشر بها المرض ص٩٩. ما رأيكم - دام فضلكم - يا معشر الأطباء المسلمين فى هذا القول؟.

٦- ويرى سيادته أنه لا مانع أن يرى الرجل من المرأة صدرها وذراعها، والأجزاء الفاتنة منها ومن هنا فلا حجاب ولا نقاب. ثم كيف نفهم هذا مع قول الله

تعـالى:**{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ}**(١).

هل يصح أن ينشر مثل هذا الكلام فى بلد دستوره الإسلام بلد الأزهر قلعة العلم والإيمان؟. ثم هل يصح أن يقول ذلك مسلم وأن يدعو الناس إليه ويقول (نحو الإسلام الحق).

* * * * *

---

(١) سورة النور آية ٣٠، ٣١.

من صفات المؤمنين

يجب أن يتميز المؤمنون عن غيرهم فى سلوكهم، وأقوالهم، وأخلاقهم فمن انتسب إلى هذا الدين الذى أكرمنا به لابد أن يتسم بسمته وإلا كان قولـه دعوى تحتاج إلى دليل، ومن هنا جاءت صفات المؤمنين فى آيات كثيرة مثبوتة فى ثنايا القرآن الكريم وفى كثير من أحاديث رسول الله - ﷺ - وهى فى مجموعها نرسم صورة صادقة لما يجب عليه أن يكون المؤمن الذى رضى بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد - ﷺ - نبياً ورسولا وسوف أقتصر فى حديثى هذا على الصفات التى وردت فى الآيات الأولى من سورة (المؤمنون) وهى قولـه تعالى:**{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ العَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}**(١) وقبل أن أتحدث عن هذه الصفات من خلال الآيات الكريمة أذكر بعض الأحاديث التى وردت فى شأنها فمن ذلك:

١- قال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - كان إذا نزل على رسول الله - ﷺ - الوحى يسمع عند وجهه كدوى النحل، فلبسنا ساعة واستقبل القبلة ورفع يديه وقال: **«اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وأثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وارضنا»** ثم قال: لقد أنزل على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ**{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ}** حتى ختم العشر ورواه الترمذى والنسائى.

٢- سئلت عائشة - رضى الله عنها - كيف كان خلق رسول الله - ﷺ -؟ قالت كان خلقه القرآن فقرأت قد أفلح المؤمنون حتى انتهت إلى والذين هم على صلواتهم يحافظون.

---

(١) أول سورة المؤمنون.

٣- عن أبى سعيد الخدرى قال: خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرسها وقال لها: تكلمى فقالت: (قد أفلح المؤمنون) فدخلتها الملائكة فقالت: طوبى لك منزل الملوك.

٤- عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال قال رسول الله - ﷺ - : **«خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء، ولبنة من زبرجدة خضراء، ملاطها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ وحشيشتها الزعفران ثم قال لها أنطقى قالت: (قد أفلح المؤمنون) فقال الله: وعزتى وجلالى لا يجاورنى فيك بخيل، ثم تلا رسول الله – ﷺ – (ومن يوق شح نفسه فأؤلئك هم المفلحون»**. وترك هذه الصفات والبعد عنها تجعل صاحبها - والعياذ بالله - بمنأى عن هذا الثواب العظيم الخالد الباقى ومن هنا نفى رسول الله - ﷺ - الإيمان عمن لم يتصف بها قال : **«لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن»** وهذا حق فإذا كان الله تبارك وتعالى قد وصف المؤمنين بأنهم**{لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ}** فإن من لم يحفظ فرجه عما حرم الله لا يكون من عداد المؤمنين وأقرب ذلك بمثال لأقرب لك الصلة الوثيقة بين الإيمان والعمل: رجل يزعم أنه شجاع، وأنه لا يفر من منازلة الأقران، وملأ الدنيا بمثل هذا الكلام، وعند بدء المعركة كان أول الفارين المدبرين، هل يقال عن هذا الإنسان أنه شجاع؟ الجواب: لا، لأن فعله لم يتطابق مع قوله.

رجل آخر لا يزال يذكر أنه كريم، وأنه يجود بما فى يده، ولا يألو جهدا فى معاونة الفقراء والمساكين، وعند مواقف العطاء يشح بماله ويبخل بما فى يده، هل مثل هذا الإنسان يعتبر كريما؟ والجواب بالقطع لا إن الحقائق لا تنقلب إلى ضدها بمجرد الكلام وهبك كتبت على علبة الملح أنها سكر فهل هذه الكتابة تقلب الملح حلوا؟ كذلك أن الإنسان الذى يدعى أنه يخاف الله لأنه سريع الحساب شديد العقاب، ولكنه مصر على المعصية فهذا إنسان لا نجاة له من عذاب الله، ولقد أقسم الله تعالى على الإنسان فى خسر إلا من اتصف بالإيمان والعمل الصالح والتواصى بالحق، والتواصى بالصبر قال تعالى:**{وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}**[١].

* * * * *

(١) سورة العصر.

الصفة الأولى:
{الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ}

بدأت الصفات بالخشوع فى الصلاة، لأن الصلاة عمود الإسلام فمن أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين، والصلاة هى العبادة الوحيدة التى فرضت فى الملأ الأعلى من الملائكة المقربين، و رسول الله - ﷺ - فوق السماوات العلا عند سدرة المنتهى فى ليلة الإسراء والمعراج، ومن هنا قيل - بحق - إن الصلاة معراج روح المؤمن. وللصلاة المقبولة أركان وشروط وسنن ومستحبات وهذه أشياء مطلوبة وإذا اختل ركن أو شرط منها كانت الصلاة باطلة، ومردودة على صاحبها، ويضرب بها وجهه وتقول لـه: ضيعك الله كما ضيعتنى.

ولكنها إلى جوار أركانها وشروطها لابد أن تؤدى بخشوع وخضوع لأن هذا هو روح العبادة وجوهرها، ومن هنا كان وصف المؤمنين بأنهم فى صلاتهم خاشعون، وإذا أديت الصلاة بلا خشوع كانت أشبه بالجثة الهامدة التى خرجت منها الروح، وإذا افترضنا أنك قدمت هدية إلى صديق لك عبارة عن حيوان ميت خفف أنفه أتراك قدمت هدية يشكر لك صديقك على إهدائها أم تراه يردها عليك ويصفك بالاستهزاء به والسخرية منه، كذلك الصلاة لابد أن تؤدى بخشوع لله تعالى والخشوع عمل من أعمال القلب يظهر أثره على الجوارح، ولقد رأى رسول الله - ﷺ - إنسانا يعبث فى لحيته فى صلاته فقال: لو خشع هذا لخشعت جوارحه قيل لحاتم الأصم: (كيف أنت إذا دخلت الصلاة)؟، قال: إذا دخلت الصلاة جعلت الكعبة أمامى، والموت ورائى والجنة عن يمينى والنار عن شمالى، والصراط تحت قدمى، معتقدا أن الله مطلع على ثم أتم ركوعها وسجودها، ثم إذا سلمت لا أدرى أقبلها الله أم ردها على)؟. إن الصلاة التى يؤديها صاحبها وروحه تهيم فى كل واد من أودية الدنيا فى حقله فى حظيرة مواشيه، فى متجره، فى مصنعه، فى مكتبه صلاة لا ترتفع فوق رأس مصليها شبرا واحدا، وليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها، وعلى ذلك فقد يقف اثنان فى صف واحد يصليان فرضا واحدا وراء إمام واحد أما أحدهما فإن صلاته تخترق السبع الطباق الشداد تشهد لصاحبها بالإيمان والآخر فإن صلاته ليس لها من ذلك نصيب:**{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ**

وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ} [١].

تستطيع يأخى أن تقوم صلاتك وأن تعطيها ما تستحق من القبول أو الرفض إذا طبقت على نفسك مقياس الفلاح وهو الخشوع فى الصلاة، فإذا أحسست أن قلبك حاضر، وأنك تعى ما تقول، وأن جوارحك ساكنة خاشعة فثق أن صلاتك - بفضل الله ومنته - مقبولة، وإذا لم تحس بذلك فاعلم أنك بذلت جهدا فى غير طائل.

الصلاة أول شعيرة من شعائر الإسلام بعد النطق بالشهادتين أدها رسول الله، وأداها المسلمون معه قال تعالى:**{يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْ زِدْ عليه وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً}** [٢] وقال تعالى:**{إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ}** [٣] والصلاة أول ما يحاسب عليه المؤمن يوم القيامة فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله. وهى التى يكفر الله بها الخطايا ويصفها الرسول الكريم بأنها كالنهر الذى يغتسل فيه الإنسان كل يوم خمس مرات يقول فى معنى الحديث الشريف: «**أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء**» قالوا: لا يبقى من درنه شيء يا رسول الله قال: «**فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**». ومن هنا شدد القرآن الكريم على تارك الصلاة قال تعالى:**{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَياًّ}**[٤] وقال:**{فَوَيْلٌ لِّلْمُصلينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ}** [٥].

وقال الرسول ﷺ : «**بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة**» [٦]. وقال: «**العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**» [٧].

(١) سورة فاطر آية: ١٠.
(٢) سورة المزمل أول السورة.
(٣) سورة المزمل آية الأخيرة.
(٤) سورة مريم آية ٥٩.
(٥) سورة الماعون.
(٦) رواه أحمد.
(٧) رواه أحمد.

وقال: من حافظ عليها كانت لـه نورا وبرهانا ونجاه يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن لـه نورا ولابرهانا ولا نجاه وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأبى بن خلف. قال ابن القيم: تارك الصلاة إذا شغله ملكه كان مع فرعون وإذا شغله ماله كان مع قارون، وإذا شغلته رياسته كان مع هامان، وإذا شغلته تجارته كان مع أبى بن خلف. غير أنى أحب أن أنبه إلى أن العبادة، أى عبادة، لها وظيفة اجتماعية إلى جوار وظيفتها الدينية، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتغرس الرحمة فى قلب المؤمن فيعطف على المسكين والأرملة والمصاب، ويتواضع ولا يتكبر وفى الحديث القدسى الشريف عن رب العزة : «**إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى، ولم يستطل على خلقى، ولم يبت مصرا على معصيتى وقطع نهاره فى ذكرى ورحم المسكين والأرملة ورحم المصاب، ذلك نوره كنور الشمس أكلاأه بعزتى، واستحفظه ملائكتى، ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة**».

قال بعض الصالحين: إذا أردت أن تدخل على مولاك بغير إذن، وتكلمه بلا ترجمان، فعلت قيل لـه كيف ذلك؟ قال: تتوضأ وتحسن الوضوء ثم، تدخل فى محرابك، وتخشع فى صلاتك فإن فعلت ذلك فقد تكلمت الله بلا ترجمان، وهو بذلك يشير إلى حديث هو : «**قسمت الصلاة بينى وبين عبدى فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله: حمدنى عبدى، وإذا قال العبد: الرحمن الرحيم، قال الله: أثنى على عبدى، وإذا قال العبد مالك يوم الدين، قال الله: مجدنى عبدى، وإذا قال العبد: إياك نعبد وإياك نستعين، قال الله: هذا بينى وبين عبدى منك العبادة ومنى العون، وإذا قال العبد: اهدنا الصراط المستقيم.. إلخ، قال الله: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل**».

رضى الله عن عمر بن الخطاب كان إذا قام إلى الصلاة ترتعد فرائصه وتصطك أسنانه فقيل لـه فى ذلك فقال: حان وقت أداء الأمانة وقضاء الفريضة، ولكن لا أدرى كيف أؤديها. وقال عبد الله بن مسعود: الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى ومن طفف فقد قال الله (ويل للمطففين)، ونختم بوصف عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها - لكيفية دخول رسول الله - ﷺ - الصلاة فتقول قالت: كان رسول الله - ﷺ - يحدثنا ونحدثه فإذا قام إلى الصلاة فكأننا لا نعرفه ولا يعرفنا اشتغالا بعظة الله عز وجل.

* * * * *

الصفة الثانية:
{وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ}

وأول ما يلفت النظر إلى هذه الآية الكريمة التى تصف المؤمنين بأنهم عن اللغو معرضون أنها جاءت بين صفتين متلازمتين فى كثير من الآيات القرآنية وهما إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة الآية التى قبلها{هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ} والآية التى بعدها{وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ} ولعل هذا - والله أعلم - لأهمية هذه الصفة ولفت النظر إليها فوجود شيء بين أشياء متلازمة مما يلفت النظر إليه بداهة.

وشيء آخر أحب أن أنبه إليه أن كلمة اللغو جاءت عامة وهى تشمل كل ما لا فائدة فيه يرجى من ورائه، وعلى ذلك فالمؤمن خزان للسانه، وزان لكلامه يترك فضول الكلام لأنه يعلم أنه مسئول عن كلامه{مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}، وإذا كان المؤمن يحاسب نفسه على ما لا فائدة فيه من الكلام فإنه من باب أولى، لا يغتاب ولا ينم ولا يكذب، ولا يشهد الزور.. إلخ لأن هذه أشياء محرمة. وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تؤكد هذه الصفة صفة الإعراض عن اللغو قال تعالى فى وصف عباد الرحمن{وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً}[١] وقال تعالى{وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ}[٢] وقال - عز من قائل:{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ}[٣].

وفى هذا النسق العالى تنتظم دور من حديث رسولنا العظيم محمد - ﷺ - وذلك حيث يقول : «**المسلم من سلم الناس من لسانه ويده**» ولعلك تلحظ تقديم أذى اللسان على أذى اليد فى الحديث الشريف وهذا حق:

يصاب الفتى من عثرة بلسانه ::: وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته بالقول تذهب رأسه ::: وعثرته بالرجل تبرا على مهل

وذلك لأن وقت المؤمن ثمين لايضيعه فى الثرثرة، وشغل الوقت بما لا يفيد وإنما الوقت عنده حياته ورأس ماله فمن ضيع وقته ضيع نفسه والواجبات أكثر من الأوقات

(١) سورة الفرقان آية ٧٢.
(٢) سورة القصص آية ٥٥.
(٣) سورة الأنعام آية ٦٨.

وفى الأثر : **«ما من يوم ينشق فجره إلا وهو ينادى يا بن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد فاغتنمنى فإنى لا أعود إلى يوم القيامة»**.

ومن هنا كان حرص المؤمنين على شغل أوقاتهم بالنفع المفيد حتى وإن كانوا على فراش المرض.

يروى أن أبا يوسف صاحب أبى حنيفة - رضوان الله عليهما - زاره تلميذ لـه فى مرضه الأخير فجعل أبو يوسف يناقش تلميذه فى مسائل فقهية معينة وأشفق التلميذ على أستاذه فالكلام يجهده، ويزيد مرضه فقال لـه: هون عليك أفى هذا الوقت يكون النقاش فقال أبو يوسف: لعل الله ينفع بهذا النقاش العلمى مسلما فنكون قد ربحنا، وما أن خرج التلميذ حتى صعدت روح الإمام إلى بارئها.

روى ابن إسحاق أنه وفد على رسول الله - ﷺ - وهو بمكة عشرون رجلا من النصارى أو قريب من ذلك حين بلغهم خبره من الحبش فوجدوه فى المسجد فكلموه وسألوه، ورجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مساءلته عما أرادوا ودعاهم إلى الله تعالى وتلا عليهم القرآن الكريم فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا لله وآمنوا برسوله وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره. فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل فى نفر من قريش فقال لهم: خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل الكتاب لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتكم دينكم، وصدقتموه فيما قال، وما نعلم ركبا أحمق منكم فقالوا: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه، لم نأل لأنفسنا جهدا) أى: لم نقصر فى فعل الخير لأنفسنا ولقد وصف القرآن الكريم الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة والكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة قال تعالى:**{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ}**(١) والحق أن اللسان عضو صغير لكن نفعه أو ضرره كبير وخطير.

---

(١) سورة فاطر آية: ١٠.

يحكى أن عبدا كان يبيعه سيده وذكر فيه عيبا وهو أنه نمام، وتقدم رجل لشرائه وسهل لنفسه هذه الآفة التى عند العبد فهو لا يسمع كلامه ولا يصدقه ما دام يؤدى العمل الذى أطلبه منه ولما اطمئن المقام بالعبد عند سيده أراد أن يمارس هوايته القبيحة فذهب إلى امرأة سيده وقال لها: إن زوجك يريد أن يتزوج امرأة أخرى فإذا استطعت أن تأتينى بشعرات من أسفل ذقنه عملت لك عملا يحببك إلى ويكره فى المرأة الأخرى، وذهب إلى الرجل وقال له بلغنى أن امرأتك تريد أن تقتلك، وإذا أردت أن تعلم صدقى فأظهر أنك نمت وسوف ترى، وهيجت هذه النميمة المرأة. وأشعلت غيرتها فأرادت أن تأتى ببعض الشعرات من أسفل ذقن زوجها وأخذت الموس واقتربت من زوجها الذى أظهر لها أنه نائم وأحس الرجل أن امرأته تضع الموس على رقبته فظن صدق العبد فقتل امرأته وجاء أقارب المرأة فقتلوا زوجها القاتل.

يروى عن معاذ بن جبل - رضى الله عنه - قال: كنت مع النبي - ﷺ - فى سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار قال: **«لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسر الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير قال: قلت: بلى قال: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفىء الماء النار، وصلاة الرجل فى جوف الليل شعار الصالحين ثم تلا قول الله تعالى{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}**(١) **ثم قال ألا أدلك رأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قال قلت بلى يا رسول الله قال: على رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قال قلت: بلى يا رسول الله قال: كف عليك هذا وأشار إلى لسانه، قلت يا نبى الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس فى النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»** رواه أحمد والترمذى والنسائى بعد هذا أقول ينبغى للمسلم ألا يطلق للسان العنان يخدش الحياء ويجرح الكرامة، ويسخر من الناس أو يلعنهم أو يلمزهم فهذه صفات مرزولة تتنافى مع قول الله تعالى**{وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ}**.

* * * * *

---

(١) سورة فاطر آية ١٠.

الصفة الثالثة:
{وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ}

هذه هى الصفة الثالثة وهى تعنى العمل لإخراج الزكاة التى هى أحد الأركان الخمسة فى للإسلام كما بين ذلك رسول الله - ﷺ - وهذا تطهير للمال بعد أن جاءت الصفة الأولى مطهرة للقلوب بالخشوع فى الصلاة وجاءت الصفة الثانية مطهرة لللسان بالإعراض عن اللغو، وهذه الصفة الثالثة تسير فى الفلك الطاهر وهو طهارة المال كما قال الله - عز وجل -**{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا}**(1) وقد جاءت الزكاة مقرونة بالصلاة فى إثنين وثمانين آية فى القرآن الكريم وردت أحاديث كثيرة من أحاديث رسول الله - ﷺ - تقرن بينهما كذلك.

فمن الآيات الكريمة التى تقرن بينهما**{الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنكَرِ}**(2) وقوله تعالى**{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ}**(3) وقد يسألنى سائل: هل المراد بالزكاة هنا فى هذه الآية الزكاة المعروفة أم لها معنى آخر.

وأقول هذه السورة مكية، ونعلم أن الزكاة المفروضة فرضت بالمدينة سنة إثنين من الهجرة من هنا قال العلماء إن الزكاة التى فرضت بالمدينة هى الزكاة ذات النصاب والمقدار المحدد فزكاة المال ٢.٥% وزكاة الزروع العشر أو نصف العشر وزكاة الإبل كذا والغنم كذا.. إلخ أما مطلق الزكاة والتصدق من غير مقدار معين فقد كان واجبا بمكة وليست هذه الآية التى معنا هى المكية الوحيدة التى تدعوا لإخراج الزكاة ففى سورة الأنعام وهى مكية وفى سورة فصلت وهى مكية أيضا**{وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لاَ يُؤْتُونَ**

(١) سورة التوبة آية: ١٠٣.
(٢) سورة الحج آية: ٤١.
(٣) سورة التوبة آية: ٧١.

الزَّكَاةَ}(١) وفى سورة الليل**{فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى * لاَ يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى * وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى}** ومما يلفت النظر فى النسق الشريف للآية التى معنا هو أنها لم تقل والذين هم للزكاة مؤدون أو مخرجون وإنما قالت (فاعلون) ولعل الفعل هنا أعم من الإخراج ليشمل - إلى جوار ذلك - العمل لجمع المال من وجهه الحلال لإخراج الزكاة، فالمؤمن يضع فى اعتباره حين يجمع المال أنه لا يجمعه لنفسه و أهله، وإنما يجمعه - مع هذا - ليخرج منه الزكاة لإطعام الفقير والمسكين، وبذلك يثاب المؤمن بنية تلك ثوابين ثوابا لنية الإنفاق على أهله وثوابا لنية الإنفاق على الفقراء والمحتاجين ومن هنا نتعلم قول بعضهم تعدد النيات تجارة العلماء.

وثواب الزكاة ثواب عظيم فالحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة ضعف وكمثل جبل أحد قال تعالى:**{مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ}** (٢) وفى الحديث الذى رواه أبو هريرة عن رسول الله - ﷺ - : **«أن الله – عز وجل – يقبل الصدقات ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربى فلوة** (ابن الحصان) **أو فصيله** (ابن البعير) **حتى أن اللقمة تصير مثل جبل أحد»**. رواه أحمد والترمذى وصححه.

وكما رغب الإسلام فى إخراج الزكاة شدد النكير على مانعها والبخل بها، قال تعالى:**{وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عليها فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ}**(٣).

قال تعالى:**{ولا يحسبن الذين يبخلون بما أتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة}**(٤).

---

(١) سورة التوبة.
(٢) سورة البقرة آية: ٢٦١.
(٣) سورة آل عمران: ٣٤، ٣٥.
(٤) سورة آل عمران: ١٨٠.

وروى أحمد والشيخان عن أبى هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ - : **«ما من صاحب كنز لا يؤدى زكاته إلا أحمى عليه نار جهنم فيجعل صفائح فتكوى بها جنباه وجبهته حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار وما من صاحب إبل لا يؤدى زكاتها إلا بطح لها بقاع قرقر كأوفر ما كانت تستن عيه كلما مضى عليها آخرها ردت عليه أولاهما حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار وما من صاحب غنم لا يؤدى زكاتها إلا بطح لها بقاع قرقر إما وفر بما كانت فتطؤه بأظفارها، وتنطحه بقرونها ليس فيها عصفاء ولا جلحاء كلما مضى عليه أخراها ردت عليه أولاها حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار،** قالوا فالخيل يا رسول الله - قال: **«الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة، الخيل ثلاثة هى لرجل آجر ولرجل ستر ولرجل وزر فأما التى هى له أجر فالرجل سيتخذها فى سبيل الله، ويعدها له فلا تغيب شيئا فى بطونها إلا كتب الله بها أجرا ولو سقاها من نهر كان له بكل قطرة تغيبها فى بطونها أجر حتى ذكر الأجر فى أبوالها وأوراثها ولو استنت شرفا أو شرفين كتب له بكل خطوة يخطوها أجرا وأما التى هى له ستر فالرجل يتخذها تكرما وتجملا ولا ينسى حق ظهورها وبطونها فى عسرها ويسرها، وأما التى هى عليه وزر فالذى يتخذها أشرا وبطرا وبذخا ورئا الناس فذلك الذى عليه الوزر»** قالوا فالخمر يارسول الله؟ قال: **«ما أنزل الله على فيها شيئا إلا هذه الآية الجامعة الفذة:{فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ}»**.

بعض معانى المفردات بهذا الحديث الشريف:

بطح: بسط ومد — القرقر: الأرض لمستوية الواسعة.

أوفر: أعظم — تستن: تجرى

عفصاء: ملتوية القرنين. — الجلحاء: التى لا قرن لها الفذة: أى لا نظير لها.

لقد قاتل أبو بكر - رضى الله عنه - المرتدين الذين منعوا الزكاة وقال قولته

المشهورة والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها لرسول الله لقاتلتهم على منعها وفى رواية لو منعونى عقالا - العناق: العنز الصغيرة والعقال: الحبل الذى يعقل به البعير.

وهناك آداب لإخراج الزكاة أو الصدقة منها:

١- إخفائها حتى تكون أبعد عن الرياء والسمعة ومن السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله (رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وكان بعض المتصدقين يحب أن يتصدق على الفقير الأعمى حتى لا يراه، وبعضهم كان يضع الصدقة فى ثوب الفقير وهو نائم، وبعضهم كان يضعها فى طريقه.

٢- أن يخرجها من أطيب كسبه وماله: قال تعالى:**{لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}**(١) وقال تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ}**(٢). وقال الرسول - ﷺ -: «**أن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا**» ومن الطيب أن يكون حلالاً جيداً - قال سفيان الثورى: من أنفق الحرام فى طاعة الله كان كمن طهر الثوب بالبول.

٣- ألا يتبع بمن وأذى فهذا محبط للعمل قال تعالى:**{قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى}**والصدقة الواجبة حق للفقير ولا غضاضة فى أن يأخذ الإنسان حقه فكيف يمن عليه، ولو شاء الله لخلق الغنى فقيرا وخلق الفقير غنيا فهل كنت ترضى أن يمن عليك من يعطيك إذا كنت فقيرا؟ كان الصالحون إذا رأوا الفقراء قالوا: مرحبا بمن يحملون زادنا إلى الآخرة.

٤- أن يتحرى بصدقته الفقير التقى الذى يستعين بمالك على طاعة الله، يروى أن الصدقة إذا خرجت من يد صاحبها قالت: كنت صغيرة فكبرتنى، وكنت حارسى فصرت الآن حارستك، وكنت لك عدوا فأحببتك، وكنت فانية فأبقيتنى، وكنت قليلة فكثرتنى.

---

(١) سورة آل عمران آية ٩٢.

(٢) سورة البقرة آية ٢٦٧.

حكى أنه كان فى بنى إسرائيل قحط شديد وكان عند امرأة لقمة خبز فوضعتها فى فمها لتأكلها فنادى سائل بالباب أعطينى لقمة فأخرجتها من فمها، ودفعتها إلى السائل ثم خرجت إلى الصحراء لتحتطب وكان لها ابن صغير معها، فجاء ذئب وحمله، وأبصرت الذئب، وجرت وراءه فبعث الله عز وجل جبريل وخلص الطفل من فم الذئب وسمعت من يقول لها لقمة بلقمة الزكاة عبادة دينية، وفى الوقت قيمة اجتماعية، لو أن الآية أخذت بها الأمة ونفذتها، وعملت لإخراجها ما رأيت بين الأمة جائعا ولا عاريا، فالله - عز وجل - قد شرع فى مال الأغنياء ما يكفى الفقراء، وما جاع فقير إلا لأن غنيا قد شح بماله ولم يؤدى الزكاة.

* * * * *

الصفة الرابعة:
{وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ..}

بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن طهارة القلب، وطهارة اللسان، وطهارة المال تحدثت الصفة الرابعة عن طهارة الفرج، فالآية الكريمة تصف المؤمنين بأنهم حافظون لفروجهم، فلا يقترفون بها شيئا يغضب الله - عز وجل - عليهم، ولكن بما أن الإسلام دين الفطرة فقد شرع طريقا واحدا لإشباع الغريزة الجنسية وهو طريق الزوجة الحلال، والأمة بملك اليمين إذا وجدت وحينئذ لا لوم عليه فى ذلك أما من طلب المتعة الحرام فى غير ذلك فهو المعتدى الذى تعدى شرع الله - تبارك وتعالى - وتعدى على حرمة أخيه المسلم بانتهاك شرفه، والعبث فى عرضه، ومهما كان رضا المرأة التى فجر بها فالرضا بالحرام لا يجعلها حلالا وحفظ الفرج يشمل النهى عن الزنى، وفعل قوم لوط، والاستمناء باليد والنظر إليه أو لمسه أو غير ذلك.

وهذه الجريمة البشعة قد وجدت لها سوقا فى هذه الأيام، وصار لها نخاسون يديرون شققا للدعارة، ويحصلون من وراء ذلك على أموال طائلة**{وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ}** وربما جرأ الشواذ على ذلك شيوع الأفلام الجنسية التى تغرى أصحاب النفوس الشهوانية بالجرى وراء هذه المتعة المحرمة، وشيوع أجهزة الاستقبال التى تستقبل ما تبثه الإذاعات الماجنة التى تستهدف تخريب الضمائر، وهدم البيوت، وكثرة المرضى بداء العصر (الإيدز) وهى تستهدف بالدرجة الأولى الشباب المسلم والفتيات المسلمات وتوفر لهؤلاء وأولئك حبوب منع الحمل، وتزيد فى السعار الجنسى بالحبوب المخدرة إلى غير ذلك.

أذكر أنه وجه إلى سؤال من امرأة تسألنى فيه عن أنها أرسلت ابنتها ولم تتعد سنها السابعة لشراء حاجة لها من محل قريب من بيتها، واختطفها أربعة شبان واعتدوا عليها واحدا وراء الآخر وكان هذا قبيل غروب الشمس والسؤال هل هو عليها إثم لأنها أنزلتها من البيت وحدها فى هذا الوقت أم لا؟.

وما إن قرأت السؤال على الذين يحضرون الدرس رجالا ونساءً حتى استنكرت وعجبت أن يحدث ذلك فى مدينة المحلة الكبرى ولها ماض عريق فى التدين، وكنا نعرف أن بها من المساجد بعدد أيام السنة كيف يحدث هذا؟، وتجمع حولى بعض الرجال الذين يغارون لدينهم وللفضيلة ويحرصون على حضور الندوات التى أعقدها بين المغرب والعشاء وطالبونى بأن أكثف الجرعات التى تقاوم هذا الداء الوبيل، ثم أخبرنى بعض أبنائى بأن الشرطة قد ضبطت بعض الشخصيات التى تنفخ فى بيران شهوة الشباب والشابات، وأطلعنى على ما نشرته جريدة الأخبار تصديقا لذلك وإن لم تذكر اسم المحلة صراحة وإنما قالت فى أحد مراكز محافظة الغربية، وقال آخرون إلى أين يصل صوت الشيخ وهؤلاء لا يحضرون الدروس ولا يدخلون المساجد وكان الرد جاهزا هو أن علينا البلاغ والنصح وعلى كل من استمع إلى ذلك أن يبلغ ما سمعه إلى أقاربه ومعارفه ولعلنا نذكر أن إبراهيم الخليل حينما أمر أن يؤذن فى الناس بالحج، والمكان غير ذى زرع وقال وماذا يبلغ صوتى فقال الله له: عليك الآذان وعلينا البلاغ فعسى أن يبارك الله فى نفر قليل يكونون نواة لمحاربة هذا الإثم، وتلك الفاحشة وبحمد الله قدمت فى ندواتى تفسيرا كاملا لسورة النور التى أمرنا رسول الله - ﷺ - أن نعلمها لنسائنا.

والحق أيها الإخوة أن الزنى جريمة بشعة تهدم كيان المجتمع وتقوض بنيانه وتلوث الأنساب، فقد يتزوج الأخ أخته وهو لا يدرى، بل قد يتزوج ابنته، ثم هى إلى جوار ذلك كله تدمر قوة شبابنا الذين نعتمد عليهم فى بناء الوطن، وحفظ الدين بسبب ما تشيعه من الأمراض الفتاكة، والداء العضال كالزهرى والسيلان والإيدز، عافانا الله من ذلك، وحفظ شبابنا وفتياتنا من كل سوء.

قرأت مرة فى باب بريد الأهرام أن سائق تاكسى بالقاهرة ركبت معه فتاة أجنبية وأغرته بنفسها حتى ارتكب معها جريمة الزنى ثم أرادت أن تحطمه نفسيا بعد أن حطمته جسديا - قالت له: مرحبا بك فى نادى الإيدز، ثم يقول لمحرر الباب ماذا أفعل وأنا لم أستطع أن أقترب من زوجتى حتى لا ينتقل إليها هذا الداء - داء الإيدز، ويقول: أنه ينظر إلى أطفاله الصغار على أنهم يتامى وهو حى بينهم.

ولكن ماذا يقول لـه المحرر بعد أن قال الله تعالى:**{وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً}**[١]. والتعبير بالنهى عن الاقتراب أبلغ فى النهى عن الفعل نفسه، لأن النهى عن الاقتراب يدل على البعد عن المقدمات والمقربات بعداً تاماً، وكأن هذه المنطقة منطقة ألغام سوف تنفجر فى كل من يقترب، وهنا تكون الكارثة ويكون التدمير.

إن الإسلام شدد العقوبة على الزانية والزانى وجعلها الرجم بالحجارة إذا كان أحدهما محصنا وذلك بأن يكون قد تزوج قبل ذلك وذاق الحلال وعرف طريقه - أما إذا كان غير محصن بأن لم يسبق لـه الزواج فجزاؤه الجلد مائة جلدة قال تعالى:**{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ}**[٢] وإنظر إلى النهى عن أن تأخذنا الرأفة بالزانى أو الزانية ثم أنظر إلى تذييل الآية بقولـه تعالى:**{إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ}** فالذى تأخذه الرأفة فى إقامة الحد على من زنى أو زنت لا يكون مؤمنا.

وهذا حق لأن الذى شرع هذه العقوبة إنما هو الرءوف الرحيم، ولسنا أكثر منه رأفة ولا رحمة على عباده فهو الذى خلقهم وهو أعلم بما يصلحهم، يروى أن الله تعالى يقول لوال أخذته الرأفة فنقص سوطا من المائة: (لما نقصت هذا السوط فيقول يا ربى رأفة ورحمة بعبادك، فيقول الله وهل أنت أرحم بهم منى)؟!.

ليعلم الزناة والزوانى أن الزنا دين، وأن أى إنسان لا يرضاه لأهله فكذلك ينبغى ألا يرضاه للناس.

جاء شاب إلى رسول الله - ﷺ - فطلب منه أن يرخص لـه فى الزنا فسأله النبي الحكيم: **«أترضاه لأمك؟ قال الرجل: لا وجعلنى الله فداءك، قال أترضاه لابنتك؟ قال: لا وجعلنى الله فداءك، قال أترضاه لامرأتك؟ قال: لا وجعلنى الله فداءك وفى كل مرة يقول له كذلك الناس لا يرضونه ثم وضع النبي – ﷺ – يده على صدره وقال: اللهم طهر قلبه وحسن خلقه، فلم يكن شيء أبغض إليه من الزنا»**.

---

(١) الاسراء آية ٣٢.

(٢) سورة النور آية.

عفـوا تعـف نسـاؤكم فـى المحـرم ::: وتجنبـوا مـالا يليـق بمسـلم
مـن يـزن فـى بيـت بـألفى درهـم ::: فـى بيتـه يزنـى بغيـر الـدرهم
مـن يـزن يـزن بـه ولـو بجـداره ::: إن كنـت يـا هـذا لبيبـا فـافهم
إن الزنـى ديـن إذا أقرضـته ::: كـان الوفـا مـن أهـل بيتـك فـاعلم
يـا هاتكـا سـتر الرجـال وقاطعـا ::: سـبل المـودة عشـت غيـر مكـرم
لـو كنـت حـرا مـن سـلالة طـاهر ::: مـا كنـت هاتكـا لحرمـة مسـلم

نعم، فلم يستطيع المجرم أن يفلت بجريمته، فإن عين الله ساهرة لا تنام، ولا تحابى ولا تجامل ولا ترتشى، ذكروا أن صاحب دكان جاءته امرأة تشترى منه شيئا فقال لها: فى داخل الدكان بضاعة أجود من المعروض هنا، فدخلت المرأة، وأمسك التاجر بيدها فى ريبة، فتركته وانصرفت، وكانت امرأة هذا التاجر امرأة صالحة، وكان لها سقاء يأتيها بالماء، منذ ثلاثين سنة، فلم ترى منه شيئا مريبا وفى نفس اليوم دخل السقاء وطلب منها أن تساعده فى إفراغ القربة، ولما اقتربت منه أمسك بيدها فى ريبة، فطردته ولما عاد زوجها سألته: ماذا فعلت اليوم؟ فقال: لم أفعل شيئا، فقالت له: لابد أنك أمسكت بيد امرأة محرمة عليك، فتعجب وقال لها كيف عرفت ذلك، قالت له السقاء الذى يأتينا بالماء منذ أكثر من ثلاثين سنة، ولم أرى منه شيئا مريبا، وهذا اليوم وبعد طول هذه المدة فعل معى ما لم يفعله وهو شاب وأنا شابة فلابد وأنك فعلت ذلك فاعترف لها وتاب إلى الله.

أيها الزانى: إن امرأتك أنظف وأطهر، وربما كانت أجمل ممن تعطيك هذه المتعة المحرمة بلا مودة ولا رحمة كما ستفعل الزوجة الحلال كما قال الله - عز وجل -**{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً}**(١) أين المودة وأين الرحمة فى لقاء تخشى فيه الفضيحة، وأن ينكشف أمرك؟ لكنك مع امرأتك الحلال آمن من ذلك.

---

(١) سورة الروم آية ٢١.

أيتها الزانية: إن زوجك أطهر وأنظف وربما أجمل وأقوى فلماذا تسلمين نفسك إلى رجل محرم يعبث بشرفك وشرف أسرتك زوجك وأبيك وأخواتك، وأولادك الذين يلحقهم العار إلى الأبد لو تكشف أمرك، إن الشيطان هو الذى يجمل المرأة الحرام فى نظر الرجل الفاجر، ويجمل الرجل الحرام فى نظر المرأة الفاجرة.

يروى أن رجلاً اتفق مع امرأة قوادة أن تهيئ له ليلة يبيت فيها مع امرأة محرمة، وكانت هذه المرأة تعرف امرأة الرجل فاتفقت معها أن تقدمها له وقالت للرجل: إن المرأة التى أقدمها لك الليلة ذات شأن فى قومها وتشترط أن يكون اللقاء فى الظلام التام ولا يكلمها ولا تكلمه، ووافق الرجل المتلهف على المتعة المحرمة، وتم اللقاء فى ظلام الليل وظلام القلب، وغفلة عن الإيمان ويقظة مع الشيطان، وبعد هذا اللقاء العابر سألت القوادة الرجل: كيف وجدت المرأة؟ قال لها كأحسن متعة مع امرأة، وطلبت منه أن يعود إليها وأشعلت النور، وكانت المفاجأة أن هذه المرأة زوجته فقال قولته: التى ألقاها الشيطان على لسانه ما أجملك حراما وما أقبحك حلالا ثم نسأل هذا الرجل ما الذى أعجبه وهى امرأته، ولم ينظر إليها ولم يعرف أهى حسناء أم شوهاء ولم يكلمها ولم يعرف أهى بكماء صماء أم سميعة بصيرة.

ثم نسأله أما خشيت أن تكون هذه المرأة ابنتك، أو أختك أو أمك ولم لا؟ وقد قابل زوجته، ألا لعنة الله على الفاسقين أين هذا، ألا نحتاط الخلقى من الأطهار الذين يأبون فاحشة. ويترفعون على المعصية متمسكين بالعفة؟ ألا إن المعصوم من عصم الله هذا يوسف - عليه السلام - تعرض عليه امرأة العزيز جسده ومالها وتهيئ كل الظروف التى تجعل كثيرا من الناس ينغمسون فى رجس الخطيئة ومستنقع الرذيلة.

إنه شاب أعزب فليس له امرأة تشبعه جنسيا، وليس صاحب مكانة بين الناس يخاف عليها إذا اكتشف أمره فالمفروض أنه خادم، كما قالت النسوة عنه:**{امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ}**.

لكنـه وهـو العفيـف، يـرى برهـان ربـه فيفـر مـن أمامهـا وتمـزق قميصـه وتشـكوه لزوجها، لولا أن برأه الله تعالى من التهمة وتثبت براءته بشهادة شاهد من أهلها**{إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ * وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ}**(١).

واختار السجن**{رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي}**(٢)، ولو فعل الفاحشة وحاشاه طبعا - لكان سيدها - وسيد القصر كله إنه الإيمان، إنه الخوف من الله**{فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ}**(٣).

أيها الزناة أيتها الزوانى: تأسوا بالطاهرين والطاهرات ولينفع كل منكم مصاحبة الجلال وإن لم يكن لـه امرأة أو لم يكن لها زوج فعلى كل منهما بالصوم كما نصح رسول الله - ﷺ - يا معشر الشباب: **«من استطاع الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»** قال أحد الصحابة: إياكم والزنى، فإن فيه ست خصال ثلاثا فى الدنيا، وثلاثا فى الآخرة فأما التى فى الدنيا فنقصان الرزق وقطع الأجل، وسواد الوجه، وأما التى فى الآخرة فغضب الله وشدة الحساب، ودخول النار.

ورب قائل يقول إنهم يزنون وتكثر أموالهم، وإنهن يزنين وتكثر أموالهن وأقول أنظر إليهم، وإليهن حين يتقدم العمر قليلا، ويبتلوا بالأمراض الفتاكة، وينفقون الأموال التى جمعت من الحرام لتختفى الأمراض التى يصابون بها، ويقترضون وربما يتسولون، فهذا نقصان رزقهم وأما قطع آجالهم فحدث عن الإيدز الذى يصابون به وكيف لا يجدى مع علاج، ولا يفيد فيه دواء.

وأما سواد الوجه فإنك تلحظه إذا كنت ذا نظر ثاقب، وعين بصيرة لا تقف عند الطلاء وإنما تنفذ إلى الجوهر فترى ما تحاول الأصباغ والألوان أن تخفيه.

---

(١) سورة يوسف آية: ٢٦، ٢٧، ٢٨.

(٢) سورة يوسف آية: ٣٣.

(٣) سورة يوسف آية: ٤٢.

وأما العقاب فى الآخرة فإن العذاب الأليم المهين ينتظرهم فى نار وقودها الناس والحجارة، وطعامهم الزقوم، وشرابهم الحميم والغسلين، وقيودهم سلاسل طول الواحد سبعون ذراعا لو وضعت منها حلقة واحدة على جبال الدنيا لدكتها.

ولقد رأى رسول الله - ﷺ - الزناة والزوانى فى ليلة الإسراء والمعراج وبين أيديهم طعام طيب ناضج ولكنهم يتركونه ليأكلوا طعاما عفنا تسرح فيه الديدان والحشرات كما فسر جبريل - عليه السلام - هذا المنظر لرسول الله - ﷺ والإسلام الحنيف يضع الضوابط التى تقضى على هذه الجريمة التى تجعل الإنسان ينزل من المستوى الكريم الذى وضعه الله فيه إذا اتبع تعاليمه إلى المستوى الحيوانى الذى يمارس فيه الجنس فى أى زمان وفى أى مكان طالما كان متاحا، ومن هذه الضوابط:

١- تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية، وذلك أن هذه الخلوة تشعل الغريزة، وتنفخ فى رمادها، وإذا حصل ذلك فإن العقل، وتدبر العواقب يضعفان أمام ثورة اللحم العارمة وللشيطان حينئذ دوره الذى لا ينقله أحد إلا المكابرون الخناسون، ولقد حذرنا رسول الله - ﷺ - من ذلك فقال: **«لا يخلون رجل بالمرأة إلا والشيطان ثالثهما»**.

ولقد مكنت امرأة حرة عبدها من نفسها، وهذا شىء تأباه الحرة، ولا ترضى أن يفترشها عبد، ولما سئلت عن ذلك قالت: إن الذى جعلها تنحدر إلى هذا الدرك السافل (طوال السهاد وقرب الوساد) أى أن السبب قرب عبدها منها وطول السهر بلا زوج، فليكن هذا العبد بديلا عن زوج حر يؤنسها، وضاعت الفروق الاجتماعية التى كانت العربية تحافظ عليها محافظتها على حياتها نفسها كما جاء فى المثل (تجوع الحرة ولا تأكل بثديها).

٢- عدم الدخول لبيت غير بيت الإنسان إلا بعد الاستئذان**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا}**[١] مهما كانت صلة الداخل بصاحب البيت، ولقد سئل رسول الله - ﷺ - عن الحمو (قريب الزوج أو

(١) سورة النور آية: ٢٧.

الزوجـة) يحـذر رسـول الله مـن دخـول الحمـو علـى المـرأة؛ لأن الصـلة قد تجـرئ علـى الـدخول والإسـلام بهـذا يجعـل للبيـوت حرمـة ويكـون الاسـتئذان ثـلاث مـرات بـالأولى يستأذنون وبالثانية يستصلحون (يستعدون لاستقبال الطـارق) وبالثالثـة يـأذنون أو يـردون ويبيح الإسـلام لصـاحب البيت أن يعتـذر للزائـر إذا كـان البيـت فـى وضـع غيـر مناسـب لاستقباله**{وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ}** [1].

٣- غض البصـر من الأمور التـى دعا إليه الإسلام فـى دستوره الخالـد للقضـاء علـى هذه الجريمـة، ذلـك أن البصـر هـو الـذى ينقـل مفـاتن المـرأة ومحاسـنها إلـى داخـل الـنفس المريضــة فتتبـع النظـرة السـلام والكـلام إلـى أن يقـع المحـذور وقـد أمـر الله المـؤمنين، والمؤمنات بذلك قال تعـالى**{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ}** [2]. والنظـرة سـهم مـن سـهام إبلـيس مـن تركهـا خوفـا مـن الله تعـالى رزقـه الله إيمانـا يجـد حلاوتـه فـى قلبـه، و استثنى الإسـلام نظـر المفاجـأة فقد يرفـع الإنسـان بصـره ليرى طريقـه فيجد امـرأة أمامـه، فعليـه حينئـذ أن يغض بصـره فإنمـا لــه الأولـى وعليـه الثانية.

٤- الترغيب فى الزواج باعتباره المتنفس الطبيعى للغريزة، وباعتبـاره الأمـان من الأخطـار المريضـة التـى يتعرض لهـا من يعيش فوضـى الاتصـالات الجنسية المحرمـة، ويجعل الزواج آية من آيات الله، وسببا للود والرحمة قال تعالى**{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً}** [3].

ويقول:**{وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ}** [4].

---

(١) سورة النور آية ٢٨.
(٢) سورة النور آية ٣٠، ٣١.
(٣) سورة الروم آية ٢١.
(٤) سورة النور.

فالذين يتقاعصون عن الزواج خوفا من الفقر يطمئنهم الله إلى أن المتزوج الذى يريد العفاف سوف يعينه الله، وهذا وعد من الله تارك وتعالى - ووعد الله لا يتخلف إن شاء الله.

ولكن ما دور الأمة فى القضاء على العزوبة التى قد تدفع إلى انتشار الفاحشة؟ تقول: الآية التى معنا تبدأ بفعل هو (وأنكحوا) والأمر هنا موجه لمجموع الأمة أن تعين الراغبين فى الزواج إذا صدقت نياتهم، ويرى الجمهور أن الأمر هنا للندب وليس للوجوب غير أن صاحب الظلال - عليه رحمة الله - يرى أن الأمر للوجوب فيقول: (ونحن نرى أن الأمر للوجوب، لا بمعنى أن يجبر الإمام الأيامى على الزواج، ولكن بمعنى أنه يتعين إعانة الراغبين فى الزواج وتمكينهم من الإحصان، بوصفه وسيلة من وسائل الوقاية العلمية وتطهير المجتمع الإسلامى من الفاحشة وهو واجب ووسيلة الواجب واجبة) وهو رأى له وجاهته، وأنا أميل إليه.

ثم هناك أمر آخر يتصل بالمرأة وهو عدم إظهار - الزينة - إلا ما ظهر منها لغير المذكورين فى الآية الكريمة:**{وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ}**[(١)]. الإسلام يعرف طبيعة المرأة وأنها تحب الزينة، ولذلك رخص لها فى ما لم يرخصه للرجال كلبس الذهب والحرير، ولكن على ألا تظهر هذه الزينة لغير هؤلاء المذكورين فهذه الآية الكريمة وفى طليعاتهم الزوج - طبعا - فهو المقصود الأول بالزينة، والباقون من الأب والأخ وابن الأخ.. إلخ لا يطمعون فيها إذا أظهرت زينتها أمامهم. والمرأة عندما تخرج من

---

(١) سورة النساء آية ٥٨.

بيتها متعطرة كأنما تكون بذلك قد أعلنت عن نفسها أنها أنثى فتغرى وتطمع من قلوبهم مرض ومن هنا فإن الإسلام يعتبرها كالزانية فى أنها ارتكبت محرما، ما كان أغناهم على ارتكابه لو أنها التزمت بتعاليم الإسلام وهكذا ترى أن الإسلام يشرع الضوابط التى تقضى على هذه الفاحشة طهارة للمجتمع وسموا به عن أن يرتكس إلى المستوى الحيوانى.

وإهمال هذه الضوابط هو سبب رئيسى فى قضايا الاغتصاب، والاعتداء على الأعراض، وتتحمل المرأة القسط الأكبر فى هذه القضايا، وإن كانت تبدو أنها المعتدى عليها، ورحم الله أديبنا الرافعى حيث يقول: لو كنت قاضيا لحمكت على المرأة بأكثر من حكمى على الرجل لأنها عرضت اللحم للهر.

ولقد ثبت أن كل المغتصبات كن من السافرات المتزينات المتبرجات المخالفات لشرع الله، ولا أعفى الرجل بالطبع لأن الله أمر بغض البصر وحفظ الفرج، وخطأ الآخرين لا يكون مبررا لارتكاب الخطأ.

* * * * *

الصفة الخامسة:
{وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ}

هذه الصفة تسير فى نسق واحد مع الصفات السابقة، فإذا كانت الصلاة طهارة للقلب، وكان الإعراض عن اللغو طهارة للسان، وكانت الزكاة طهارة للمال وكان حفظ الفرج طهارة له وعفة، فإن مراعاة الأمانة والعهد طهارة فى السلوك الإنسانى الذى يتميز به المسلم، لو تخيلنا مجتمعا تنتشر فيه الخيانة، وتنعدم فيه الأمانة فهل يمكن أن يعيش أفراده وهم آمنون؟! إن كل مظاهر التعامل فى الحياة قائم على الأمانة فلو افترضنا أن البائع قائم ويعطيك بضاعة رديئة وافترضنا المشترى خائنا وهو يدفع أموالا مغشوشة وإذا افترضنا أن الطبيب خائن، والمهندس، والمدرس والقائد إذا تصورنا ذلك مجرد تصور فقط فهل يمكن لإنسان أن يعيش فى مجتمع هذه صفاته؟ والجواب: لا، إذا كنت تشك فى بائع الطعام وأنه يقدم لك وجبة غذائية فيها سموم فكيف تمد يدك وتتناول هذا الطعام وإذا.. وإذا.. إن الإنسان بمجرد التفكير فى ذلك يمسك برأسه من الدوار.

فالأمانة والمحافظة عليها أمر ينبنى عليه سعادة المجتمع وهدوؤه واستقراره ولذلك فقد جاءت كلمة الأمانات جمعا إنها أمانات وليست أمانة واحدة وجاء الأمر بأداء الأمانة فى آيات كثيرة قال تعالى:**{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا}**(١) وقال عز من قائل:**{فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ}**(٢) وقال:**{لآإِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السماوات وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ}**(٣) وكما أمر بالأمانة نهى عن الخيانة التى تكون سببا فى حياة يسودها الشك والقلق والاضطراب فقال تعالى**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}**(٤).

---

(١) سورة النساء آية: ٥٨.
(٢) سورة البقرة آية: ٢٨٣.
(٣) سورة الأحزاب آية: ٧٢.
(٤) سورة الأنفال آية: ٢٧.

ولقد كـان رسـول الله - ﷺ - موصـوفا بالصـدق والأمانـة قبل أن يكـون نبيـا فكـانوا يلقبونـه بالصـادق الأمـين، و إذا أطلقت كلمـة الأمـين فـى عصـره - ﷺ - كانـت تعنـى بالضـرورة نبيا محمدا، ولقد كـان المشـركون أعداؤه وأعداء دعوتـه لا يجدون من هو أرعى للأمانة منه، فكانوا يضعون ودائعهم عنده، وعندما هاجر رسول الله من مكة إلـى المدينـة أبقـى عليا وأمره أن يؤدى الأمانـات إلـى أصـحابها، وبعضـهم أعداؤه، ولكن لـم يفكر فى أن يخون الأمانة ويستولى عليها بينما بنوا إسرائيل حينما علموا بخروجهم من مصر مع موسى عليه السلام، وكـانوا قد استعاروا الحلـى الذهبيـة من المصـريين، ولـم يؤدوها بعد ذلك ولما علم نبى الله هارون بذلك طلب إليهم أن يلقوا هذا الـذهب فـى حفرة واحدة إلـى أن يرجع موسـى من لقـاء ربـه - عز وجل - لكـن السـامرى صـنع من هذا الذهب عجلاً جسدا لـه خوار فعبدوه فبعد أن كان الذهب دليل خيانة أصبح بعد أن صـار عجلا دليل شرك.

والأمانات متنوعة من هذه الأمانات: العبادات التى أمرنـا الله تبارك وتعالى - بأدائها وخلقنـا مـن أجلهـا كمـا قـال تعـالى**{وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}**[1]، فسـلامة العقيدة أمانـة، ذلك لأن الله تعـالى فطرنـا علـى ذلك، كل مولـود يولـد علـى الفطـرة حتـى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، فمن أقر بوحدانية الله، وأيقن أنه سبحانه متصل بكل كمال، ومنزه عن كل نقص فقد أدى أمانـة الفطـرة ومن ارتكس فـى الكفر والضلال فقد خان هذه الأمانة.

والصلاة والزكاة والصيام والحج كل هذه أمانات يجب أن تؤدى إلـى الله تعـالى فهو صاحبها، والمعبود بها، ومن أخل بشىء منها كان - والعياذ بالله - خـائن، قـال تعـالى**{إِنَّا عَرَضْـنَا الأَمَانَـةَ عَلَـى السـماوات وَالأَرْضِ وَالْجِبَـالِ فَـأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَـهَـا وَأَشْـفَقْنَ مِنْـهَـا وَحَمَلَهَا الإِنسَان}**[2] فمن لم يؤد أمانة العبـادة كـان ظلومـا جهولا أهكذا بصيغة المبالغة أى كثير الظلم وكثير الجهل لأنـه ظلم نفسـه بـأن عرضـها لغضـب الله وسـخطه، وظلـم

(١) سورة الذاريات آية ٥٦.
(٢) سورة الأحزاب آية ٧٢.

الفقراء والمساكين واصحاب الحاجات حين لم يخرج زكاته فالفقراء لهم حق فى هذا المال،{وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}[1].

ثم هو إلى جوار كثرة ظلمه كثير الجهل بتبعات الأمانة وأداؤها لأصحابها، الوظائف العامة أمانة يسأل عنها الموظف أمام الله يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، بينما هذه الوظائف تحفى لها الأقدام، وتنقطع النعال بسبب السعى وراءها، ربما باعتبارها تشريفا لصاحبها فى نظر البعض، وباعتبارها ربما - باب من أبواب الكسب غير المشروع الذى يسيل له لعاب الكثيرين، وإلا فكيف نفسر هذه المعارك اللسانية والقلمية والإعلامية، وصرف الأموال الكثيرة إذا حل موعد الانتخابات بدأ من العضوية لأى مؤسسة ولو كانت صغيرة وانتهاء إلى أعلى المناصب؟.

أسأل الله أن أكون مخطئا فى تفسيرى هذا وأن يكون الهدف من السعى وراء المناصب هو الإحساس بالقدرة على خدمة الأمة وقضاء مصالح الناس، وما ذلك على الله بعزيز.

جاء أبو ذر إلى رسول الله - ﷺ - فقال: يا رسول الله: ألا تستعملنى (تولينى عملا) قال فضرب رسول الله - ﷺ - منكبى ثم قال: **«يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها، وأدى الذى عليه فيها»**.

أرأيت كيف وصف الرسول، وهو الذى لا ينطق عن الهوى تولى الوظائف العامة بأنها أمانة قال عمر بن الخطاب (لو عثرت بغلة: بشاطئ الفرات لوجدتنى مسئولا عنها أمام الله لم أمهد لها الطريق) أرأيت؟! إنه مسئول عن تعثر بغلة وليس عن تعثر إنسان فقط.

ولما حضرته الوفاة وقيل له استخلف يا أمير المؤمنين (أى عين لنا خليفة) رشح ستة للخلافة ليختار المسلمون منهم من يريدون، وكان ابنه عبد الله كفئا لهذا المنصب لكنه لم يرشحه مع كثرة إلحاح الكثيرين عليه أن يجعله واحدا من المرشحين، ويترك

(١) سورة المعارج آية ٢٤، ٢٥.

اختياره لرأى المسلمين، لكنه قال يكفى أن يحاسب واحد (يعنـى نفسـه) من آل الخطـاب عن أمور المسلمين.

بينما رأينا غيره يأخذ البيعة لابنه ببريق الذهب، وحد السيف، وهو يقول من أطاعنا فله هذا يعنى الذهب، ومن عصانا فله هذا يعنى السيف، ولقد قالت امرأة عربيـة مسلمة كلمة ما أحوجنا أن يجعلها شعارا لجميع المسئولين عن الوظائف العامة قالتها لعمر وهو يتفقد أمور الرعية وكانت محتاجة قالت لـه: الله بيننـا وبين عمر فقـال: ومـا يـدرى عمر بحالك؟ قالت أيتولى أمرنا وينام عنا، وكأن من تولى ولاية عمل للمسلمين لا يصح لـه أ، ينام ولذلك كان بعض الحكام المسلمين قليل النوم جدا فقيل لــه فـى ذلك فقـال: إن نمت بالنهار أضعت حق المسلمين، وإن بالليل أضعت حق ربى فى العبادة.

وكـان عمر بن عبد العزيز حينمـا تولى أمـور الخلافـة تحت ضـغط من المسـلمين لنزاهته وتقواه وورعه يدرك حرمة المال العام، وأنه ليس ملكا حلالا لـه أن يفعل بـه مـا يشاء بل كان حريصا عليه ولو كان شمعة بسيطة.

جاء والـى من الـولاة ودار النقـاش حـول المشـكلات فـى الولايـة وكيـف كـان يتعامل معهـا، وكـان المكـان مضـاء بشـمعة من بيت مـال المسلمين، وهنـا بـدا للـوالى أن يجامل الخليفـة فقـال لــه كيف حـال أولادك يـا أمير المـؤمنين؟ وهنـا أطفـأ أمير المـؤمنين هذه الشمعة، ولما سأل الوالى عن سر ذلك قال خامس الخلفاء الراشدين هذه الشمعة من بيت المال، وحينما كنا نتحدث عن مصالح المسلمين كان يحل لنـا الانتفـاع بضـوئها، أمـا وقد سألتنى عن أولادى وهذا شيء لايهم المسلمين فليس لنـا الحق أن نستضـيء بشـمعة من بيت مالهم. من أجل هذا الحرص علـى مـال المسلمين ولـو كـان فـى مثل الشـمعة تـدرك جيدا كيف كان عهد عمر بن عبد العزيز عهد رخـاء وبركـة، حتـى كانت الزكـاة لا تجد من يأخذها لقد أغنى الله المسلمين بسبب هذه العفة العمرية عن أموالهم والمحافظة عليها هل تصح مقارنة بين هذا التصـرف المسئول وبين التصـرفات التـى يمارسـها الكثيـرون والكثيرون جداً فى مال المسلمين؟ هذه (التليفونـات) تضـعها الدولـة إلـى المسئول لتسـهل العمل والحركـة، وسـرعة الاتصـال كيـف تسـتخدم؟ إنهـا تسـتخدم للسـؤال عـن الصـحة

والحال، وأين يكون السهر الليلة؟ وماذا ينتظر الكتيرين منهم من ألوان الطعام للغداء، بل وربمـا اسـتخدمت وسـيلة اتصـال محرمـة فـى أخـذ المواعيـد الآثمـة وغشيـان السـهرات الفاجرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله والدولة هى التى تدفع الفواتير ثمنا لذلك كله.

من أنواع الأمانات السر سواء كان ذلك سرا عاما يخص الدولـة كلها أم كـان سـرا خاصا يخص فردا بعينه.

فمن لديهم أسرار تخص الدولة فلا يحل لهم أن يفشوها فهذا يعتبر خيانـة، ويوم أن أفشى حاطب بن أبى بلتعة سر غزوة الفتح وكتب رسـالة بذلك إلـى قريش نـزل قولـه تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}**[١] وأراد عمر بن الخطاب أن يأذن لـه الرسول ليضرب عنقه، لم يشفع لحاطب إلا سابقته فى الإسلام وأنه اشترك فى غزوة بدر، ولعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، ثم اعتذار حاطب نفسه فإنه كان على علم تـام أن الله سوف ينصر رسوله، علم المشركون بزحفه أم لم يعلموا، وإن الذى جعله يكتب هذه الرسـالة ليتخذها يد عند قريش فأمواله وأهله فى مكة، وصدقه رسول الله، ولكن القرآن نـزل معاتبـا**{لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلاَ أَوْلادُكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ}**[٢]، ومن عنده سر لأخيه ينبغى أن يكتمه وألا يفشيه لأن ذلك أمانـة، وهو مسؤول عنهـا إن خانهـا والنبي - ﷺ - يقول: المجالس أمانة أى أن الحفاظ على ما يدور فى المجالس من حديث أمانة.

ولقـد كانـت صـحابة رسـول الله - ﷺ - يحـافظون علـى الأسـرار فهـذا أبـو بكـر - رضـى الله عنــه - كــان قـد علـم أن رسـول الله - ﷺ - يـذكر حفصـة بنـت عمـر وأنــه ربمـا يتزوجهـا، وعـرض عمـر حفصـة علـى أبـى بكـر ليتزوجهـا فقـد انقضـت عـدتها بعـد وفـاة زوجهـا، ولكـن أبـا بكـر لـم يـرد عليـه لا بـالقبول ولا بـالرفض، ولمـا تزوج رسول الله حفصة اعتذر أبو بكر لعمر لعدم رده عليه.

(١) سورة الأنفال آية: ٢٧.
(٢) سورة الممتحنة آية: ٣.

بأن كان يعلم أن رسول الله سوف يتزوجها وما كان ليفشى سر رسول الله وفاطمة ابنته - رضى الله عنهما - يسر إليها رسول الله بكلمة فى أذنيها فتبكى وبعد ساعة يسر إليها بكلمة أخرى فتضحك ورسول الله على فراش مرضه الأخير، وتسأل عائشة فاطمة رضى الله عنهما - أن تخبرها بهذا الذى أسر به رسول الله فى أذن فاطمة فأبكاها وأضحكها فتقول ما كنت لأفشى سر رسول الله، وبعد أن لحق بالرفيق الأعلى طلبت عائشة من فاطمة أن تخبرها وقالت لها بحقى عليك أخبرينى فقالت فاطمة أما الآن فنعم، أسر إلى أولا بقرب انتهاء أجله فبكيت من أجل ذلك، ثم أسر إلى أنى سيدة نساء أهل الجنة وأنى أول من تلحق به من أهله فضحكت.

حتى أنس وهو صغير كان خادم النبي أرسله رسول الله ليقضى لـه حاجة معينة وقابلته أمه وسألته إلى أين يذهب ولماذا؟ فقال لها هذا سر رسول الله، ففرحت وقالت لـه لا تفشى يا بنى سر رسول الله.

ما يكون بين المرأة وزوجها سر ينبغى ألا يجاوز حجرة المخدع لكن كثيرا من الشباب، وكثيرا من الشابات من يفشى هذا السر وهذه خيانة ينبغى البعد عنها.

الودائع أمانة بل ربما إذا أطلقت كلمة الأمانة فأول ما يتبادر إلى الذهن أنها تعنى الوديعة، ويجب على من عنده أمانة أن يحافظ عليها، ولا يبددها ولا يغيرها فضلا عن أن يجحدها.

قال رسول الله - ﷺ - : **«القتل فى سبيل الله يكفر الذنوب كلها»** أو قال: **«يكفر كل شيء إلا الأمانة، يؤتى بصاحب الأمانة فيقال له: أد أمانتك فيقول: أنى يا رب وقد ذهبت الدنيا (ثلاث مرات) فيقول اذهبوا به إلى أمه الهاوية، فيذهب إلى الهاوية فيهوى فيها حتى ينتهى إلى قعرها فيجدها هنالك كهيئتها فيحملها على عاتقه فيصعد بها إلى شفير جهنم حتى إذا رأى أنه قد خرج زلت قدمه فهوى فى أسرها أبد الأبدين»**.

ثم نسأل هل إذا ائتمنك رجل من أهل الصلاح والتقوى فهل لك أن تخون هذه الأمانة؟ والجواب لا فالأمانة يجب أن تؤدى إلى الناس كل الناس.

قال تعالى**{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا}**[1].

ويقـول الرسـول - ﷺ - : **«ثـلاث يـؤدين إلـى البـر والفـاجر: الـرحم توصـل بـره أو فاجره، والأمانة تؤدى إلى البر والفاجر، والعهد يوفى به للبر والفاجر وخيانة الأمانة»** دليل النفاق قال - ﷺ -: **«ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان»**.

ولقد وصف الله تعالى بعض بنى إسرائيل بأنه أمين، ولو كانت الأمانة قنطارا فإنه سوف يؤده ووصف البعض الآخر بأنه خائن ولو كانت الأمانة صغيرة قال تعالى**{وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عليه قَآئِماً}**[2].

روى البخارى أن رسول الله - ﷺ - : **«ذكر رجلا من بنى إسرائيل سأل بعض بنى إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال: ائتنى بالشهداء أشهدهم فقال: كفى بالله شهيداً قال فأئتنى بكفيل قال: كفى بالله وكيلا قال: صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى فخرج فى البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يركبه ويقدم عليه للأجل الذى أجله، فلم يجد مركبا فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه ثم زجج موضعها، ثم أتى بها البحر فقال اللهم إنك تعلم أنى تسلفت فلانا ألف دينار فسألنى كفيلا فقلت كفى بالله كفيلا فرضى بك وسألنى شهيدا فقلت كفى الله شهيدا فرضى بك وإنى جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذى له فلم أقدر، وإنى أستودعكها، فرمى بها فى البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف وهو فى ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده فخرج الذى كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله فإذا الخشبة التى فيها المال فأخذها لأهله حطبا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الذى أسلفه وأتى بالألف دينار فقال: والله ما زلت جاهدا فى مركب لأتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذى جئت فيه قال: هل كنت بعثت إلى بشيء قال: أخبرك أنى لم أجد مركبا قبل**

(١) سورة النساء آية ٥٨.

(٢) سورة آل عمران آية: ٧٥.

الذى جئت فيه قال: فإن الله قد أدى عنك الذى بعثته فى الخشبة فانصرف بالألف دينار راشدا»، وهكذا من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله.. فالدين أمانة.

الوفاء بالعهد:

هذه الصفة الكريمة جاءت مقترنة بأداء الأمانة فى قوله تعالى**{وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ}**[١] والعهد هو كل ما التزم الإنسان بأدائه، فإذا تعاقدت مع إنسان أن تبيعه أو تشترى منه شيئا فعليك بأن تراعى ذلك، وأن تؤديه قال تعالى**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ}**[٢].

وإذا اقسم الإنسان وحلف بالله تعالى على فعل شئ أو تركه كان ذلك عقدا وعهدا يجب الوفاء به فمن لم يف فهو خائن للعهد، ناقض للعقد، ناكث فى حلفه، ونطق الإنسان بكلمة الشهادة: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله عقد وعهد مع الله تبارك وتعالى أن يلتزم بعبادة وحده فلا يشرك بعبادته أحدا، وان يتبع الرسول، ولا يخالف سنته قال تعالى**{ألم أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ}**[٣].

وهناك آيات كثيرة فى القرآن الكريم**{وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عليكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلاَ تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ}**[٤].

يقول بن كثير: هذا مما يأمر الله تعالى به وهو الوفاء بالعهود والمواثيق، والمحافظة على الإيمان ولهذا قال**{وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا}** فالذى يعطى اليمين معاهدا أو مبايعا أو غير ذلك مما يحلف عليه يجب الوفاء به ولا يصح أن تتخذ اليمين.

---

(١) سورة المعارج آية: ٣٢.
(٢) المائدة الآية الأولى.
(٣) يس آية: ٦٠.
(٤) النحل آية: ٩١.

خديعة كما قال تعالى:**{تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ}**، ولما كان مظنة الانتفاع به قامت فنقضت هذا الغزل، وحلت إبرامه وإحكامه**{وَلاَ تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً}** أى أنقاضا وهذا مثل من يبطل عمله ويقول الله تعالى بعد بأية واحدة**{تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ}**[١] إلخ ويقول بعد ذلك مباشرة**{وَلاَ تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}**[٢] والمعنى والله أعلم إن الذى ينقض يمينه جريا وراء كسب مادى من متاع الدنيا الزائل يكون قد باع الشيء الثمين الغالى بثمن بخس قليل ولو كان الدنيا فيراها فإنها متاع زائل، وعرض حائل**{مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ}**[٣].

وقال تعالى فى سورة الإسراء**{وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً}** فهذا أمر من الله - تعالى - بالوفاء بالعهد وتذيل الآية بقوله تعالى**{إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً}**أى يسأل عنه من أعطاه أو إن العهد نفسه يسأل وتكون هذه مبالغة فإذا كان العهد نفسه يسأل فمن باب أولى يسأل من أعطاه وحنث فيه كما قال الله تعالى**{وَإِذَا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ}** [٤] والموءودة هى الطفلة الصغيرة التى كان يقدها أبوها خوفا من الفقر وخشية، ونحن نعلم أن الصغير لا يسأل فيكون السؤال عن وأدها من باب أولى.

يروى أن معاوية - رضى الله عنه - كان بينه وبين ملك الروم أمد (أجل مسمى) فسار معاوية إليهم فى آخر الأجل حتى إذا انقضى وهو قريب من بلادهم أغار عليهم وهم لا يشعرون فقال له عمرو بن عقبة: الله أكبر يا معاوية وفاء لا غدرا سمعت رسول الله - ﷺ - : **«يقول من كان بينه وبين قوم أجل فلا يحلن عقده حتى ينقضى أمدها»** فرجع معاوية - رضى الله عنه - بالجيش.

* * * * *

(١) سورة النحل آية: ٩٢.
(٢) سورة النحل آية: ٩٥.
(٣) سورة النحل آية: ٩٦.
(٤) سورة التكوير آية: ٨، ٩.

الصفة السادسة:
{وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ}

ونـأتى إلـى الصـفة الأخيـرة مـن صـفات المـؤمنين التـى جـاءت فـى مطلـع سـورة (المؤمنون) ومما يلفت النظر أن هذه الصفات جاء ذكر الصلاة فى أولها وفى آخرها، ولا تكرار بل هما صفتان يكمل بعضهما بعضا، ولم يقرن القرآن بينهما متتابعين وإنما ذكرنا فى أول الصفات وفى آخرها لتكون الصلاة، بأن يأتيا حسن المطلع ولتكون حسن الختام، وهذا يدلك على أهمية الصلاة.

والأولـى تتحـدث عـن الخشـوع فـى الصـلاة، والثانيـة تتحـدث عـن المحافظـة عليهـا، والمحافظـة علـى الصـلاة تعنـى أن يحـرص الإنسـان علـى أداتهـا ولا يتكاسـل عنهـا، فالمتكاسـلون عـن أداء الصـلاة إنمـا هـم المنـافقون قـال تعـالى عـنهم**{وَإِذَا قَـامُوا إِلَـى الصَّـلاةِ قَـامُوا كُسَـالَى}**(١) لكـن المـؤمنين حينمـا يقومـون يقومـون وهـم بـين الخـوف والرجـاء يخـافون ألا يؤدوهـا كمـا ينبغـى أن تـؤدى ثـم يرجون لها القبول ولهم الثواب من الله تعالى.

ومـن المحافظـة علـى الصـلاة زيـادة علـى أدائهـا فـى أوقاتهـا المحـددة كمـا قـال تعـالى**{إِنَّ الصَّـلاةَ كَانَـتْ عَلَـى الْمُـؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتـاً}**(٢) أقـول مـن المحافظـة علـى الصـلاة الإتيـان بهـا كاملـة الشـروط والأركـان، تابعـة السـنن والمسـتحبات بحيـث تـؤدى كمـا شـرع الله، وكمـا سـنه رسـول الله - ﷺ - أمـا إذا نقـص منهـا ركنـا - مـثلا فإنـه لا يكـون محافظـا عليهـا ولقـد صـلى رجـل أمـام رسـول الله - ﷺ - ولكنـه لـم يـتم ركوعهـا ولا سـجودها فقـال لــه الرسـول: (اذهـب فصـل فإنـك لـم تصـل) وذهـب الرجـل فصـلى كمـا صـلى قبـل ذلـك، وأمـره الرسـول بـنفس الأمـر (اذهـب فصـل فإنـك لـم تصـل)، وأعـاد الرجـل الصـلاة، وأمـره الرسـول مـرة ثالثـة أن يعيـد الصـلاة

---

(١) سورة النساء آية: ١٤٢.
(٢) سورة النساء آية: ١٠٣.

فصـلاته غيـر مقبولـة (اذهـب فصـل فانـك لـم تصـل) فقـال الرجـل: علمنـى يـا رسـول الله، والـذى بعثـك بـالحق لا أحسـن غيـر هـذا فقـال لـه رسـول الله - ﷺ - إذا قمـت الـى الصـلاة فكبـر، ثـم اقـرا مـا تيسـر معـك مـن القـرآن، ثـم اركـع حتـى تطمـئن راكعـا، ثـم ارفـع حتـى تعتـدل قائمـا، ثـم اسـجد حتـى تطمـئن سـاجدا، ثـم ارفـع حتـى تطمـئن جالسـا، ثـم اسـجد حتـى تطمـئن سـاجدا ثـم افعـل ذلـك فـى صـلاتك كلهـا. رواه أحمد والبخارى ومسلم وهذا الحديث يسمى (حديث المسيء فى صلاته).

وإذا نظـرت إلـى كثيـر مـن صـلاة المسـلمين فـى هـذه الأيـام تجـد أنـه لا يحـافظ علـى الصلاة فركوعهم وسجودهم، ورفعهم من الركوع والسجود لا طمأنينـة فيـه ومـن ثـم فهـم لم يصلوا وبالتالى لم يحافظوا على صلاتهم.

ونختم الحديث عن هذه الصفة وبيـان أهميتهـا بحديث عبـد الله بـن مسـعود وقـد سـئل رسول الله - ﷺ - عن أى العمل أفضل فقال - ﷺ -: الصلاة على وقتها قال ثم أى؟ قـال بر الوالدين قال ثم أى؟ قال: الجهـاد فـى سبيل الله، قـال عبـد الله بـن مسـعود حـدثنى بهـن رسول الله ولو استزدته لزادنى رواه البخارى ومسلم.

ومعنـى الصـلاة علـى وقتهـا - والله أعلـم - الصـلاة فـى أول الوقـت وقـد ورد أن أبـا بكـر قـال: الصـلاة فـى أول الوقـت رضـوان الله، وفـى وسـط الوقـت رحمـة الله، وفـى آخـر الوقـت مغفـرة الله، ثـم قـال ورضـوان الله أحـب إلينـا مـن مغفـرة الله، لأن رضـوان الله للسـابقين، ومغفـرة الله للمقصـرين، ونخـتم - أيضـا - بحـديث رسـول الله - ﷺ - والـذى يقـول فيـه مـن صـلى الصـلاة لوقتهـا، وأسـبغ لهـا وضـوءها، وأتـم لهـا ركوعهـا وسـجودها عرجـت (صـعدت إلـى السـماء) وهـى بيضـاء سـفرة تقـول: حفظـك الله كمـا حفظتنـى، ومـن صـلى الصـلاة لغيـر وقتهـا، ولـم يسـبغ لهـا وضـوءها، ولـم يـتم لهـا أركانهـا وشـروطها عرجـت وهـى سـوداء مظلمـة تقـول: ضـيعك الله كمـا ضـيعتنى حتـى إذا كانـت حيـث يشـاء الله لفـت كمـا يلـف الثوب الخلق (القديم) ثم ضرب بها وجه صاحبها.

وبعد فهل استطعنا أن نأتى بكل صفات المؤمنين؟ والجواب بالقطع لا، فإن صفات المؤمنين مثبوتة فى ثنايا القرآن الكريم، ولا نستطيع أن نأتى عليها كلها بالشرح فذلك يطول جدا على سبيل المثال ما يأتى:

١- **{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عليه حَقاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ}**(١) والصفة المذكورة هنا هى أن المؤمن باع نفسه وماله لله.

٢- **{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}**(٢) والصفات المذكورة: هى أن ينصر المؤمن أخاه وأن يواليه وأن يأمر بالمعروف، وأن ينهى عن المنكر وأن يقيم الصلاة وان يؤتى الزكاة وأن يطيع الله ورسوله.

٣- **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عليهمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقاً}**(٣) فالصفات هنا: الخوف من الله تعالى عند ذكره عز وجل باعتباره القوى المنتقم الجبار سريع الحساب شديد العقاب، وإذا سمعوا القرآن الكريم نفذ نوره الى قلوبهم فيزيدها إيمانا على إيمانها، ثم هم يتوكلون على ربهم فى كل أمورهم إلى جوار أداء الصلاة، والإنفاق من رزق الله الذى عندهم.

٤- **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الحَقِّ}**(٤).

---

(١) سورة التوبة آية: ١١١.
(٢) سورة التوبة آية: ٧١.
(٣) سورة الأنفال آية: ٢.
(٤) سورة الممتحنة أول الآية.

٥- **{لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَـوْمِ الآخِرِ يُـوَادُّونَ مَنْ حَـادَّ اللَّـهَ وَرَسُـولَهُ}** [١] وهاتـان الآياتـان تؤكدا صفة ينبغـى أن يتصف بهـا المؤمن وهـى معـاداة الكـافرين الـذين يحادون الله ورسوله، فلا تتخذهم أولياء من دون الله.

ومن الأحاديث الشريفة:

١- الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان.

٢- مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد.

٣- المؤمن مرآة أخيه.

٤- لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه.

وبالجملة فإن المؤمن يتصف بكل الصفات الحسنة، ويبتعد عن كل الصـفات القبيحـة وكما قلت قبل ذلك يجب أن يتميز المسلمون عن غيرهم كمـا يتميـز المـاس عن الفحـم والمسك من الدم.

* * * * *

(١) سورة المجادلة آية: ٢٢.

ثواب المؤمنين

إذا تحقق الإيمان بمفهومه الصحيح، واتصف المؤمنون بالصفات الحسنة كما جاءت فى القرآن الكريم، وفى سنة رسول الله - ﷺ - فإن الله تبارك وتعالى وعدهم - ووعده لا يتخلف، أن يجعلهم خلفاء، وأن ينصرهم على أعدائهم قال تعالى: **{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ}**(1).

وقد فعل الله تبارك وتعالى للمؤمنين بقيادة رسوله محمد - ﷺ - وبقيادة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين ذلك كله ولله الحمد والمنة فلم يلحق الرسول الكريم بالرفيق الأعلى حتى أقر الله عينه بفتح مكة معقل الشرك والوثنية، ودخل الناس فى دين الله أفواجا، وأجلى اليهود عن المدينة وعن خيبر، وهم أهل حرب وعتاد وحصون قال تعالى: **{وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَّمْ تَطَؤُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً}**(2).

وفتح الله البحرين واليمن، وسائر بلاد العرب، وأخذ الجزية من مجوس هجر، وأعطى له المقوقس هدايا، ودخل الإسلام بلاد الحبشة.

ولما قام أبو بكر بالأمر بعده جيش الجيوش بقيادة خالد بن الوليد، وأبو عبيدة بن الجراح، وعمرو بن العاص، وأسامة بن زيد وعادت هذه الجيوش مرفوعة هاماتها، عالية أعلامها.

وجاء عمر بن الخطاب وتم فى عهده فتح الشام ومصر وأكثر أقاليم فارس وتوالى الزحف الإسلامى المظفر تنفيذا لوعد الله تبارك وتعالى حتى تحدى خليفة المسلمين السحابة فى السماء وقال لها شرقى أو غربى فسوف يأتينى خراجك إن أمطرت فى

---

(1) سورة النور آية ٥٥.
(2) سورة الأحزاب آية ٢٦.

أرض المسلمين فسيدفعون الجزية وهى لبيت المال.

هذا هو وعد الله للمؤمنين الصادقين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فإن أردنا النصر لقومنا والعزة لأمتنا فلنستمسك بهذا الدين الذى أكرمنا الله والله تبارك وتعالى سوف ينصرنا كما نصر أسلافنا من قبلنا**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}**(١)، ووعد الله هذا ليس خاص بنا نحن المسلمين فقط - ولكنه - وعد لكل المؤمنين الصادقين وقد وعد الله بنى إسرائيل أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض وتم وعد الله وأهلك الله فرعون وجنوده، وورث المسلمون مع موسى - عليه السلام - أرضه ولقد أرى الله رسوله محمد - ﷺ - ورؤيا الأنبياء حق مشارق الأرض ومغاربها فقال : **«إن الله رؤى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أننى ما رؤى لى منها»**.

فقط علينا أن نؤمن بالله، وأن نقف عند حدوده وأن نتبع سنة رسوله - ﷺ - وعلى الله النصر، ومنه العون والمدد**{إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ}**(٢).

وبشارة رسول الله لا تخلف وهذا عدى بن حاتم يفد على رسول الله فيقول له أتعرف الحيرة؟ قال: لم أعرفها ولكنى سمعت بها قال: فوالذى نفسى بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت فى غير جوار أحد، ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: نعم كسرى بن هرمز، وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد قط قال عدى بن حاتم: فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت فى غير جوار أحد، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز والذى نفسى بيده لتكونن الثالثة لأن رسول الله قد قالها: وقد وقعت الثالثة فعلا فكانوا لايجدون من يأخذ زكاة أموالهم فكانت توضع ليأكل منها الطير والوحش فإنه لا ينبغى أن يجوع إنسان ولا طير ولا وحش فى بلد إسلامى.

---

(١) سورة محمد آية: ٧.

(٢) سورة الحج آية: ٣٨.

وعن أبى بن كعب قال: قال رسول الله - ﷺ - : «**بشر هذه الأمة بالسنا والرفعة والدين والنصر والتمكين فى الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة من نصيب**».

قال ابن كثير - رحمه الله - الصحابة - رضوان الله عليهم لما كانوا أقوم الناس بعد النبي - ﷺ - بأوامر الله عز وجل وأطوعهم لله كان نصرهم، بحبسهم أظهروا أنهم كلمة الله فى المشارق والمغارب، وأيدهم تأييدا عظيما.

وحكموا فى سائر البلاد والعباد، ولما قصرا الناس بعدهم فى بعض الأوامر نقص ظهورهم بحبسهم.

وها قد وضع ابن كثير يدك على سبب تخلف المسلمين، وطمع غيرهم فى بلادهم وفى خيراتهم، وأن سبب ذلك تقصيرهم فى طاعة الله تعالى.

* * * * *

ثواب المؤمنين فى الآخرة

أمـا ثـواب المـؤمنين فـى الآخـرة فحـدث عنـه ولا حـرج، إنهـم فـى جنـة عرضـها السماوات والأرض فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وقد ختمـت الآيـات التـى جـاءت فـى أول سـورة (المؤمـنون) وقدمناها تحت عنـوان صفات المؤمنين بقول الله تعـالى**{أُوْلَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}**.

وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله - ﷺ - قال: **«إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفـردوس فإنـه أعلـى الجنـة وأوسـط الجنـة ومنـه تفجـر أنهـار الجنـة، وفوقـه عـرش الرحمن»**.

ووراثة الجنة معناها كما جاء فى بعض الأحاديث أن الله تبارك وتعالى خلق لكل واحد من خلقه مكانا فى الجنة باعتبار أن الخلق كانوا جميعا مؤمنين، ومكانا فى النـار باعتبار أنهم جميعا كانوا عصاة كافرين، وبعد أن يدخل أهل الجنة الجنـة، وأهل النـار النار فإنه تبقى منازل أهل النـار التـى فـى الجنـة خالية فيرثها أهلها، وتبقى منـازل أهل الجنة التى فى النار خالية فيرثها أهل النار وبئس الميراث قال تعـالى**{وَتِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}**[١]، وقال تعالى**{تِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِياًّ}**[٢].

وحينما تقرأ الآيات القرآنية التى تتحدث عن الجنة، وتتدبرها تحس أنك تراها رأى العين، وقد جاءت هذه الآيات فى ثنايا القرآن الكريم، ولكنها أكثر ما جاءت فـى سـورة الـرحمن، وسـورة الواقعـة، وسـور الغاشـية، وسـورة الإنسـان، ومـا عليـك إلا أن تفـتح مصحفك، وتتلو الآيات التى فيها ذكر الجنة وما إخالك إلا مشمرا لهـا، عـاملا من أجلها مستقلا ما تبذله لدخولها فهى ورب الكعبة (نور يتلا وريحانة تهتز وقصر مشيد، ونـهر مطرد، وفاكهة كثيرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة فى مقام أبد فـى جدة

---

(١) سورة الزخرف آية: ٧٢.
(٢) سورة مريم آية: ٦٣.

ونضرة، فى دار عالية سليمة بهية قالوا: نحن لها يا رسول الله قال: قولوا: إن شاء الله ثم ذكر الجهاد وحض عليه.

سئل رسول الله - ﷺ - عن الجنة فقال: «**لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها الدر والياقوت، وترابها الزعفران من يدخلها يبقى لا ييأس ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه**».. أما أشجارها فحدث عنها ولا حرج ضخامة وعلوا، وثمرا وظلا وفى الجن شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها واقرءوا إن شئتم (وظل ممدود) ليس من شجر الدنيا تشبه شجرة الآخرة إنه الاسم فقط.

جاء أعرابى يوما فقال: يا رسول الله: لقد ذكر فى القرآن شجرة مؤذية وما كنت أرى فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها؟ قال رسول الله - ﷺ - وما هى قال: السدر فإنه له شوكا مؤذيا فقال رسول الله - ﷺ - : «**أو ليس يقول الله تعالى{فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ} خضد** (قطع) **شوكة فجعل مكان كل شوكة ثمرة فإنها تنبت تمرا تفتق الثمرة منها على إثنين وسبعين لونا طعام ما فيه لون يشبه الآخر**»، حديث صحيح.

وهذا كما قال الله تعالى:**{كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً}**(١) فاللون واحد والطعم مختلف.

وأما الحور العين والزوجات المؤمنات فى الدنيا واللاتى يكن مع أزواجهن فى دار النعيم فإن رسول الله - ﷺ - قال: «**لو اطلعت إمرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا، ولطاب ما بينهما ونصيفها** (خمارها) **على رأسها خير من الدنيا وما فيها**» رواه البخارى.

إنهن خيرات حسان.. حور مقصورات فى الخيام.. لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان، ويقول الله عنهم**{إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً}**(٢) كأنهن الياقوت والمرجان، إنهن كأمثال اللؤلؤ المكنون... إلخ.

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٥.

(٢) سورة الواقعة آية: ٣٥، ٣٦.

ولقد سألت السيدة أم سلمة رسول الله - ﷺ - قالت: يا رسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ فقال: **«بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة قلت: يا رسول الله وبما ذاك؟ قال: بصلاتهن، وصيامهن، وعبادتهن لله عز وجل، ألبس الله وجوههن النور، وأجسادهن الحرير بيض الألوان، خضر الثياب، صفر الحلى، مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب يقلن: نحن الخالدات فلا نموت أبدا ونحن الناعمات فلا نبأس أبدا، نحن المقيمات فلا نظعن أبدا، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا طوبى لمن كان لنا وكنا له»**.

ونأتى إلى ثالث الثلاثة التى تذهب الحزن والتى هى (الماء والخضرة والوجه الحسن) أما الخضرة ففى أشجار الجنة، وأغصانها وظلالها، وأما الوجه الحسن ففى ما قدمناه من الحديث عن الزوجات الصالحات، والحور العين، فلنتحدث عن أنهار الجنة وفى سورة محمد بيان ذلك قال تعالى:**{مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى}**(١).

وألفت نظرك أخى القارئ إلى كلمة (مثل) إن الله - عز وجل - يضرب لنا مجرد مثل لأنهار الجنة، أما الأنهار الحقيقية فإن اللغة لا ترقى إلى الحديث عنها وليس فى لغتنا التى نتكلم بها مفردات ولا جمل تصل إلى التعبير الحقيقى عنها، إنها من عالم الخلود، إنها مما لا يخطر على قلب بشر.

ثم انظر إلى القيد الذى جاء عقب كل نهر، تجد فى نهر الماء قوله تعالى (غير آسن) أى غير متغير لا يتغير لا لونه ولا طعمه ولا ريحه، بخلاف أنهار الدنيا التى يغيرها ما فى مجراها من الطين فأنهار الجنة تنبع من جبال المسك وذلك يعطيها الرائحة الجميلة.

وأنهار اللبن جاء القيد بعدها فى قوله تعالى**{لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ}** إلى حموضة أو مرارة شأن ألبان الدنيا إذا تركت بل فى غاية النصاعة والحلاوة والدسومة لأنها من

---

(١) سورة محمد آية: ١٥.

صنع الله تبارك وتعالى لعباده المؤمنين، ولم تخرج من ضرع الماشية وأنهار الخمر، يأتى القيد بعدها بقوله تعالى (لذة للشاربين) وجاء فى آية أخرى**{لاَ يُصَدَّعُونَ عَنهَا وَ لاَ يُنْزِفُونَ}** [1] وفى آية ثالثة**{بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ}**[2].

ولعل كثرة الأوصاف لأنهار الخمر كما جاء فى الآيات ليقتلع القرآن تلك الصورة الكريهة للخمر من أنها تغتال العقل، وتصدع الرأس، والتى من أجلها حرمت الخمر وإنما هى لذة فقط وأما خمر الدنيا فهى رجس من عمل الشيطان ولذلك فمن شرب خمر فى الدنيا ولم يتب من عمله هذا حرم الله عليه خمر الآخرة.. ولا حول ولا قوة إلا بالله وأنهار العسل يأتى الوصف بعد ذلك بقوله تعالى (مصفى) خال من الشمع أو الشوائب التى تعلق به فهو فى أعلى درجات الصفاء والنقاء وحلاوة الطعم، وطيب الريح وإذا كنت قد قلت (أعلى الدرجات) فذلك لأن اللغة لا تعطينى أكثر من هذا التعبير، وإنما أذكرك بما قاله الله فى هذه وهو (مثل الجنة) وليس حقيقة الجنة.

وهذه الأنهار ليست كأنهار الدنيا فى أن لها مجرى تسير فيه وإنما تسير على وجه الأرض قال أنس - رضى الله عنه - لعلكم تظنون أن أنهار الدنيا تجرى فى أخدود (مجرى) والله إنها لتجرى سائحة على وجه الأرض، وحافتها قباب اللؤلؤ، وطينها المسك الأذفر.

ويجب ألا ينسى نهر الكوثر الذى أعطاه الله لنبيه محمد - ﷺ - وذلك قوله تعالى**{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ}**.

روى أنس قال: قال رسول الله - ﷺ - دخلت الجنة : **«ليلة الإسراء والمعراج فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدى إلى ما يجرى فيه فإذا مسك أذفر قلت: ما هذا يا جبريل قال: هذا الكوثر الذى أعطاكه الله – عز وجل –»** رواه البخارى.

وأما طعام أهل الجنة فما ألذه وما أكثره وما أطيبه، يأتيهم فى آنية الذهب كما قال الله - عز وجل -**{يُطَافُ عليهم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ**

---

(١) سورة الواقعة آية: ١٩.

(٢) سورة الصافات آية: ٤٦.

وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[1].

ويروى عكرمة مولى بن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ - قال: **«إن أدنى أهل الجنة منزلة، وأسفلهم درجة لرجل لايدخل الجنة بعده أحد يفسح له مسيرة مائة عام فى قصور من ذهب وخيام من اللؤلؤ ليس فيها موضع شبر إلا معمور، يغدى عليه ويراح بسبعين ألف صحفة من ذهب ليس فيها صحفة إلا فيها لون ليس فى الأخرى مثله، شهوته فى آخرها كشهوته فى أولها لو نزل به جميع أهل الأرض لوسع عليهم مما أعطى لا ينقص ذلك مما أوتى شيئا»**.

أبنائى وأحبائى هل رأيتم عظيم فضل الله وكريم عطائه وأحب أن أذكر بأنه لن يدخل أحد الجنة عمله، وإنما ندخلها بفضل رحمته، ونتقاسمها بأعمالنا، وكل واحد من أهل الجنة ينظر إلى مكانه الذى كان معدا له فى النار فيقول: الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وكل واحد من أهل النار يرى مكانه فى الجنة والذى كان معدا له لو آمن فيقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين.

نحمد الله على نعمة الإيمان والإسلام، وأسأله - عز وجل - أن يتقبل منى ومنكم صالح الأعمال وأن يتجاوز عن سيئاتنا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * * * *

(١) سورة الزخرف آية: ٧١.

الفهـرس

* * * * *